العدد السابع من السنة الثالثة — جمادى الثانية سنة ١٣٦١ — يوليه سنة ١٩٤٢

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

(بالمجان)

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٢

فهرس العدد

		صفحة
أسبوع البر وفريضة الزكاة		٣
مشكلة التعليم	أحمد نجيب الهلالي باشا	٧
ماذا أعددنا للطفولة	محمد العشماوي بك	١٣
صيحة طبيب انسان	الأستاذ سيد قطب	١٦
نصيب الفلاح في خطاب العرش	الدكتور أحمد حسين	٢١
قوانين العمال		٢٦
الطفولة المشردة في مصر	الأستاذ محمد لطفي جمعه	٣٣
مشروع تحسين الصحة القروية		٣٨
أنت وحدك	الأستاذ عبد الحميد عبد الغني	٤٥
طريقنا الى الإصلاح الاجتماعي	الأستاذ مصطفى الصاوي	٥١
اصلاح القرية أم اصلاح الفلاح	الأستاذ عريان يوسف سعد	٥٦
لغة البهائم	الأستاذ عماد الدين عبد الحميد	٥٨
من بركات الحرب		٦٢
في ربوع البائسين	الأستاذ محمد عبد الكريم	٦٦
السباق الحاضر	ع ا ٠ ا	٧٢
مدرسة الخدمة الاجتماعية		٧٧

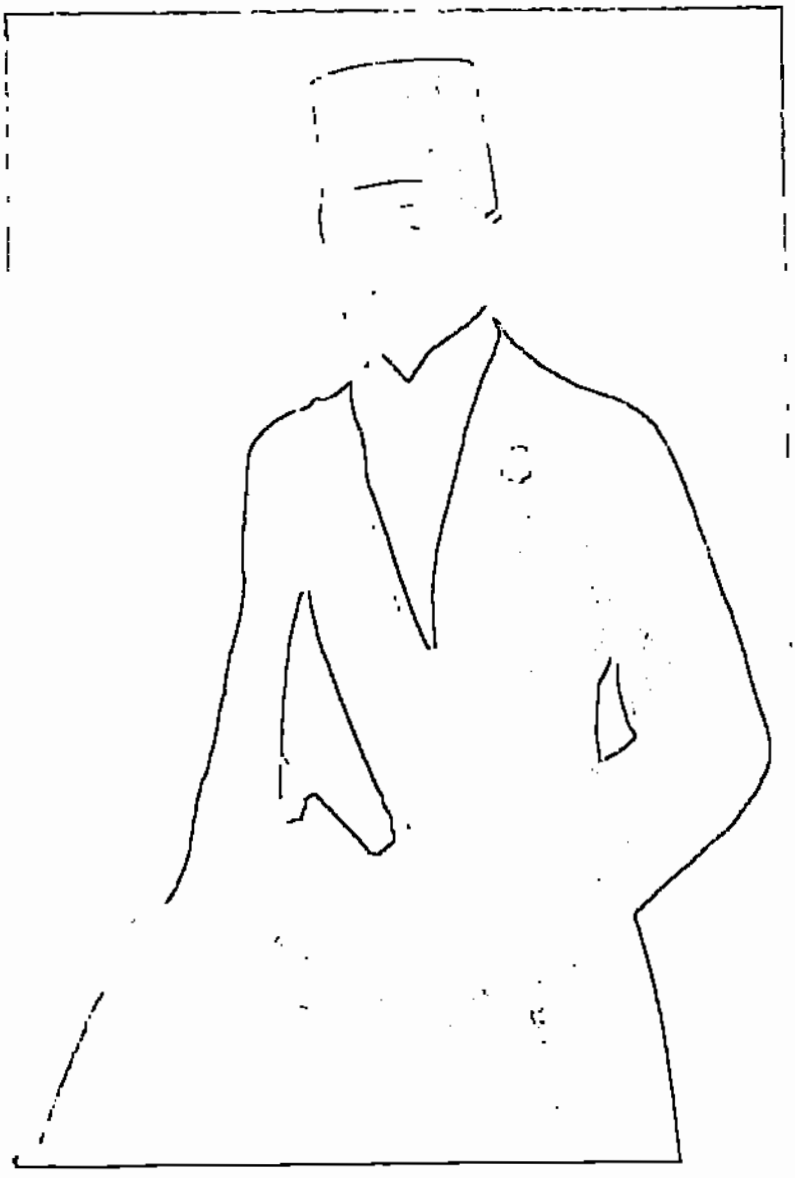

حضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق
وزير الشؤون الاجتماعية

أسبوع البر
وفريضـــة الزكاة

كان أسبوع البر فى الشهر الماضى من أهم أحداث هذا الشهر ، فقد نبه إليه رفعة رئيس الوزراء فى كلمته ليلة عيد الجلوس الملكى حيث نشأت فكرته بهذه المناسبة السعيدة ، وفى ذلك يقول رفعته :

" رأينا الملك المحبوب حفظه الله ورعاه ، يتجه أول ما يتجه بتفكيره وعنايته فى هذا اليوم المجيد إلى الفقراء والمعوزين فيعمل على تخفيف ويلاتهم وتدبير حاجاتهم وشفاء نفوسهم المكلومة من بعض ما تعانيه من الآلام . فكان لزاما علينا وعلى سائر المصريين أن ننهج نهج المليك فى عطفه وحنانه وبره وإحسانه ، فنبادر بالمعونة الشاملة إلى هؤلاء الفقراء البائسين "

وقد كان هم جلالة المليك فى كل مناسبة أن يوجه الأفكار وجهة البر بالطبقات المحرومة وأن يكون جلالته فى ذلك قدوة ، ومشروع مكافحة الحفاء — وهو المشروع الذى كان من صنع جلالته وحده — دليل على جميل رعايته للتوجيهات الاجتماعية .

وقد نهجت هذا النهج لجنة الاحتفالات العامة بالأعياد الملكية بتوجيه جلالته وإرشاده السامى بفاء فى بيانها هذا العام " أن مجموع ما تلقته من الاكتتابات كان أربعين ألف جنيه أنفقت منها ٨,٥٠٠ جنيه فى بناء خمسة مطاعم للشعب و ٣,٠٠٠ جنيه لإطعام الفقراء و ١٠,٠٠٠ جنيه لمشروع إنقاذ الطفولة المشردة ؛ وأقامت جناحا بملجأ أبناء السبيل بلغت نفقاته ٧٥٠ جنيها وصرفت لكساوى الفقراء ٣,٠٠٠ جنيه ، وأعانت مشروع مقاومة الحفاء بمبلغ ١,٠٠٠ جنيه ، وأنفقت ٧٠٠ جنيه لشراء لحوم لتوزيعها على الفقراء و ٥٠٠ جنيه للعائلات الفقيرة التى أخنى عليها الدهر و ١٠٠ جنيه لشراء فواكه للملاجئ و ٥٠٠ جنيه لفقراء السودان . ولم تنفق فى الزينات إلا ٢٥٠ جنيها أخذت مصلحة التنظيم معظمها لصيانة أدوات الزينة وتجديدها " .

كانت فكرة " أسبوع البر " إذن — وهذا واتجاه جلالة الملك — خير تحية ترفع إلى جلالته فى عيد جلوسه من رئيس وزرائه . وقد قامت على تنفيذ تلك الفكرة وتجسيم هذه التحية حرم رفعته فأخرجت الفكرة إلى حيز التنفيذ وقامت بتنظيم حفلاتها وتنسيق خطواتها حتى نجحت ذلك النجاح الكبير و بلغت قوائم التبرعات حوالى خمسة وثلاثين ألفا من الجنيهات .

وقد اشترك فى الدعاية للمشروع بعض وزراء مصر وكبرائها وأدبائها ، وورد فى كلماتهم التى ألقوها من محطة الإذاعة فقرات ذات معنى يحسن أن يهضمه المستمعون والقراء ، وأن يدركه على وجهه الأغنياء فى هذا البلد والفقراء سواء ، ونحن نبرز هذا المعنى الذى نشير إليه فى مقتطفات سريعة من بعض هذه الخطب .

وردت فى كلمة رفعة رئيس الوزراء هذه الفقرات :

" أيها المواطنون الأعزاء إننى إذ أدعوكم إلى مد يد البر والإخاء إلى إخوانكم الفقراء ، إنما أدعوكم إلى أنبل الفضائل وأكرمها على الإطلاق ، لأنها ملاك كل فضيلة وأساس كل خلة نبيلة وقوام الخير والمروءة والإحسان . وما البر إلا الرحمة والشفقة والحنان والشعور الحقيق بمبدأ الحرية والإخاء والمساواة إذ لا يستحق أن يسمى إنسانا من لا يشعر بحق أخيه الإنسان فى مباهج الحياة ومجالى المسرات . . . . لذلك كان شعور البر بين الأمم عنوان سموها الأدبى وكمالها الخلق والدليل الساطع على أن كيانها الاجتماعى يقوم على أساس سليم وطيد" .

ثم إن البر من بعد هذا هو أقوى أسباب الهناء والسعادة واطمئنان النفوس ، وأغنى سعادة الباذلين ، قبل سعادة الآخذين إذ ليس أجلب لرضا النفس وراحة القلب وهناءة الضمير من أن تعلم أنك أطعمت جائعا أو كسوت عاريا أو شفيت مريضا أو واسيت يائسا نكبته الأيام و برحت به الآلام " .

وجاء فى كلمة معالى وزير الشئون الاجتماعية هذه الفقرات :

" من يظن أن البر هو مجرد تفضل من غنى على فقير فقد أخطأ . إنما البر هو ضريبة الانسانية فى أسمى معانيها فرضتها على الإنسان لأخيه الإنسان .

" وليس البر هو مجرد الاحسان ، ولكن البر فى أجمل صوره هو أن نرتق بإحساساتنا وأن ننتزع أنانيتنا ، فنشاطر البؤساء بؤسهم . وطريدى هذه الحياة القاسية آلامهم .

" ليكن الاحسان خلة فى نفوسنا ، وسليقة فى طباعنا ، ولترهف مشاعرنا حتى نؤمن بأن حاجتنا الى لذة البر وثواب الاحسان أشد من حاجة الفقير الى صدقتنا و برنا .

" لنذكر دائما أن البر واجب من واجباتنا ، وحق فى أعناقنا ، فلا نؤديه لخورين أو مختالين أو ممتنين " .

وفى حديث حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك جاءت هذه الفقرات :

" ليست الديمقراطية نظاما سياسيا أو اجتماعيا فحسب ولكنها خلق قبل هذا كله . و إذا كانت الديمقراطية تعتمد على المساواة وعلى الإخاء وعلى الحرية فمعنى هذا أن الخصال الثلاث

يجب أن تكون جزءا مكونا لأخلاق الناس ، بحيث تكون المساواة شيئا قد استقر فى أخلاق الناس وامتزج بشعورهم ، فأحس كل واحد منهم بأن لا فرق بينه و بين غيره لا فى الحقوق ولا فى الواجبات ولا فيما يجب أن يكون عليه من المعاملات مهما تختلف .

" والعدل كذلك ليس شيئا يقره القانون أو يفرضه الدستور أو تقتضيه الحياة الاجتماعية ، و إنما هو خلق قبل هذا كله ، فاذا كان العدل من الأشياء التى تزدان بها الحياة المتحضرة ، حياة الأمم الراقية ، فيجب أن تزدان به نفوس أبناء هذه الأمم قبل أن تزدان به الحياة العامة ويجب أن يكون العدل شعورا متغلغلا فى نفوس الناس ، مستقرا فى قلوبهم ، مسيطرا على ما بينهم من العلاقات .

" و إذن فالبر الذى تدعون اليه هـذا الأسبوع لا ينبغى أن يفهم على أنه تطول من الأغنياء والقادرين على الفقراء والبائسين ، ولا ينبغى أن يفهم على أنه شىء ينبغى أن تزدان به الحياة . حياة الأمم الراقية المتحضرة ، فيقال : إن هذه الأمة تمتاز من بين الأمم بأن اغنياءها يجودون على فقرائها وأن أقوياءها يرحمون ضعفاءها ، و إنما يجب أن يكون البر خلقا من أخلاق المصريين " .

ثم يقول :

إنه ليس من مقومات الحياة الصحيحة المتحضرة أن يكون بيننا قوم ينعمون بالحياة على حساب قوم يشقون بها ، و إنما يجب أن يكون المصريون شركاء فيما أتاح الله لهم من نعيم وما فرضه عليهم من آلام " .

وطالب الدكتور بأن ينزل الأغنياء القادرون عن كثير من هذا الفضل الذى يملكونه ولا يحسنون التصرف فيـه للتخفيف عن الذين لا يجدون ما يعالجون به أمراضهم وعللهم ، وعن الذين لا يجدون ما يستعينون به على احتمال الحياة وآلامها وشقائها .

* * *

تتجه هذه الكلمات وجهات مختلفة ولكن تتفق فى أمور ثلاثة :

الأول : أن البر ينبغى أن يكون إحساسا نفسيا أو خلقا من الأخلاق الأصيلة فى نفوس الشعب المصرى .

والثانى : أن الديمقراطية بأسسها الثلاثة — العـدالة والحرية والمساواة — لا تستقيم إلا على أساس هذا الشعور .

والثالث : أن البر ليس تفضلا من الأغنياء على الفقراء ولكنه واجب محتوم ودين فى عنق أولئك لهؤلاء .

وهذه المعانى هى التى أردنا إبرازها بتلك المقتطفات . فالواقع أن الإنسانية اليوم — إن لم تكن فى جميع العصور — تتأذى من أن يعد البر تفضلا من غنى على فقير ، تتأذى من شعور الغنى بهذا التفضل ومن شعور الفقير به أيضا . فهى تجعل هذا البر فريضة على القادرين وحقا للمحتاجين .

ولعل أوضح وأقوى تعبير عن هذه الحقيقة قول القرآن الكريم : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » هكذا « حق معلوم » ونصيب مفروض . ولعل الإسلام قد جعل الزكاة فريضة إمعانا فى تأكيد هـــذا المعنى ، حتى لا يتطاول الأغنياء على الفقراء بما ينفقون وحتى لا يستشعر هؤلاء ذل الشعور بالفضل أمام المتفضلين .

وها هى ذى وزارة الشؤون الاجتماعية تفكر تفكيرا جديا فى تحقيق هذه الحكمة الإنسانية الكبرى التى شرعت الزكاة لتحقيقها ، فتعقد اللجان لإعادة هذه الفريضة على القادرين . الفريضة التى شرعها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، فإذا بأحدث النظريات الاجتماعية فى القرن العشرين تتفق معها فى جعل البر فريضة على القادرين وحقا للمحتاجين حتى لا يتأذى شعور الفقراء وحتى لا يتطاول عليهم الأغنياء .

ولم تجد الوزارة عنتا فى فرض هذه الضريبة على أسس من الديانات السماوية جميعا . فأما الإسلام فحكمه معروف . وأما اليهودية فتفرض الصدقة بنسبة أكبر مما تنويه الوزارة . وأما المسيحية فروحها وتعاليمها تجعل البر فريضة بأوسع معانيها وحدودها .

فعلى بركة الله وتوفيقه فلتسر الوزارة فى هذا الطريق .

مشكلة التعليم

لحضرة صاحب المعالى أحمد نجيب الهلالى باشا وزير المعارف

الكلمة القيمة التى ألقاها معاليه فى الحفلة السنوية التى أقامتها الجامعة الأمريكية بمناسبة تسليم الشهادات لخريجيها

سيداتى سادتى

أشكر لهذه الجامعة العظيمة دعوتها الكريمة لأتحدث اليكم فى هذا اليوم المشهود من أيامها فى كل عام . وأنها لفرصة سعيدة حقا هذه التى تتيحها الجامعة الأمريكية لأساتذتها وطلابها ولطائفة مختارة من قادة الرأى وأهل العلم والفضل ، فتمكنهم من أن يجتمعوا هذا الاجتماع الخصب الذى يسمح لهم بأن ينظروا فى وقت واحد إلى الماضى وإلى المستقبل ، ليروا نتائج الجهود التى بذلت ومعالم الطريق التى قطعت وآثار العقبات التى ذللت ، فيغتبطوا بما كتب لهم من ظفر وما قدر لهم من توفيق فى هذا الجهاد المتصل الذى ينهضون به لترقية العقول والأخلاق ، ولينظروا فى الوقت نفسه إلى الطريق الطويلة الشاقة الممتدة أمامهم والتى يجب أن تقطع ، والى العقبات الكثيرة المنتثرة أمامهم والتى يجب أن تذلل ، وإلى الجهود الثقيلة الماثلة فى نفوسهم والتى يجب أن تبذل ، ليصل رقى العقل وليستمر سمو الخلق ولنمضى فى سبيلنا إلى الكمال غير متواكلين ولا متخاذلين .

بالنظرة إلى ماضى التعليم تكون الغبطة والثقة بالحاضر ، وبالنظرة إلى مستقبله يقوى الأمل ويشتد العزم ويعظم الاستعداد للنشاط .

فمنذ عشر سنين ثار الناس بوزارة المعارف وصاحوا بها صيحة لها دوى عظيم منادين بفشل التربية والتعليم . وانبرى طلاب الإصلاح يكتبون ويخطبون ولكل منهم برنامج كامل للإصلاح الشامل . وكان العنوان المحبب إلى كل من دعا أو كتب : ماذا أفعل لو كنت وزيرا للمعارف ؟ ومن ملح بعض الكتاب مناظرة وزير المعارف بزنجى أمريكى يدعى بوكر واشنجطن (Booker Washington) أما الزنجى فقد كان خادما فى منزل ، ولكنه جد فى الحياة حتى حصل حقيقة العلم وأصبح معلما . كان فقيرا لا مال عنده ولكنه كان يعلم تلاميذه فى ساعات الفراغ صنع الآجر والقرميد والنجارة والحدادة . وكانوا يجمعون الحطب من الغاب فيصنعون منه النوافذ والأبواب ، وبذلك شيد التلاميذ معهدهم ، ثم قام على تعليمهم تعليما حيا حرا فأصبحوا رجالا عاملين نافعين لا مجرد علماء رسميين . وعلى هذا

النمط أنشأ بوكر عدد كبيرا من المدارس الليلية ونجح فى حركته العلمية فأغدقوا عليه أكبر الألقاب وأصبح إماما من أئمة التعليم . هذا رجل زنجى خلق كل شىء من لا شىء ، أما وزير المعارف فى مصر فتوضع بين يديه فى كل عام الملايين ولكنه لا يخلق شيئا ويظل صوت الشعب داويا : " يا رحمن يا رحيم من فشل التعليم " .

واليوم نسمع دوى هـذه الصيحة حتى فى بعض الأوساط الرسمية . فالتعليم الجامعى ضعيف قاصر لأن التعليم الثانوى ضعيف قاصر . وقد دعت هذه الصيحة كبيرا مسئولا إلى التحقيق فى ضعف التعليم ، فخففت كل مرحلة من تبعتها بالقائها على سابقتها ، والكبير ينزل من مرحلة إلى مرحلة ، حتى وصل إلى رياض الأطفال وصدق أنهـا هى وحدها المسئولة عن ضعف التعليم ، فأنحى عليها بالملام ، وترحل الباقون عن حضرته بسلام .

والخطأ فى هذا كله اعتقاد اللائمين أن المدارس الثانوية يجب أن تخرج إخصائيين فى مختلف العلوم . وهى علوم لا يقدر أن يتخصص فيها رأس واحد أبدا . وقد نسوا أن التعليم العام لا يقصد به إلا تهذيب العقل وتقويم الفكر وترويض التلاميذ على الحكم السليم والنظر الصحيح ، ولا يتحقق ذلك إلا بتوجيه التعليم وجهة عملية تتفق مع حاجة الطالب وأعماله فى مستقبل حياته ، بدلا من تلقينه مبادئ وقواعد لا يعلم لهـا الانس ولا الجن أية قيمة عملية .

ويسرنى أن أقرر أن التعليم الثانوى عندنا يجرى الآن على أحدث مبادى التربية ، وأصحها من حيث تحقيق الصـلة بين التعليم النظرى والحياة العملية ، ولقد زرت بعض المدارس الثانوية والابتدائية فسرنى ما شاهدت من تقدم كبير مبشر بخير عميم . رأيت الجماعات الرياضية والأدبية والاجتماعية والعملية والفنية يعمل أفراد كل منها كما يعمل النحل فى الخلية فيتعاونون وينتجون ، ورأيت التلاميذ يفكرون بعقولهم ويحاولون بل يزاولون بأيديهم ، بعيون مفتوحة وصدور مشروحة . ورأيت أن التلميذ لم يعد مجرد أداة اسـتقبال يستقبل من المعلم ما يصبه فى ذهنه قسرا ويحشره فيه حشرا .

وما من شك فى أن طلبة اليوم خير من طلبة الأمس سـواء من حيث التكوين العلمى أو قوة الملاحظة أو المهارة العملية .

ولكن بعض النظريين يريدون الرجوع بالتعليم الثانوى الى الوراء من حيث حشو الأذهان والارتكام فى كثرة وازدحام . وقد أطبقت الأمم جميعا قديمـا وحديثا على فساد هـذه الطريقة . فقالوا ان كل علم يكثر على المستمع ولا يطاوعه الفهم أو الهضم يزداد به القلب عمى ، وانمـا ينفع سمع الآذان اذا قوى فهم القلوب فى الابدان . قرر ذلك المـاوردى

عند المسلمين كما أجمله هريو فى مجلس نواب فرنسا سنة واحدة وثلاثين عند ما قال : ليس التعليم كأسا تدهق وانما هو مشكاة تضىء . ومن قبل ذلك شرح ابن خلدون مبادئ التربية الحديثة فى عبارات صريحة أرسلها الدكتور شارل واطسن مدير الجامعة الأمريكية الى الاستاذ أمير بقطر لينشرها فى مجلة التربية الحديثة ، وقد شغفها بخطاب قال فيه انه دهش كثيرا لآراء ابن خلدون الذى عاش فى القرن الخامس عشر والذى اهتدى بفطنته ونور عقله الى الطرائق الصحيحة فى التربية والتعليم .

وما من شك فى أن الفضل كل الفضل فى نجح التعليم الابتدائى والثانوى وبث الروح المعنوى فى المدارس إنما يرجع الى أساتذه هذه المدارس الذين يقومون بمهمتهم خير قيام مع أنهم لا يلقون جزاء ولا شكورا . وفى هذا لا يسع كل منصف الا أن يدعو لهم كما دعا لهم النبى الأمين " اللهم اغفر للمعلمين وبارك لهم فى أيدامهم وأطل أعمارهم " والله أسأل أن يمنحهم من حسن الجزاء على قدر ما يبذلون لبلادهم من غيرة واخلاص ووفاء .

سيداتى سادتى

ليس معنى ما تقدم أن تبقى نظم التعليم ومناهجه ثابتة جامدة ، مقدسة لا تمس . بل الواجب أن تكون متحركة الى الامام مسايرة لمطالب الزمن وحاجات الوطن .

والواقع أن هذا الاجتماع الذى تتيحه لنا الجامعة الأمريكية من عام الى عام إنما هو رمز لهذه الفكرة التى تقوم عليها الحياة الإنسانية الراقية ، فكرة الطموح الدائم الى الخير والكمال والسعى المتصل الى المثل العليا .

واذا كان الطموح فى التعليم واجبا فى أيام السلم فهو فى أيام الحرب وبعد الحرب أوجب وألزم .

فهناك اجيال تختارها العناية الالهية لتمتحنها بالمحن الشديدة والفتن المرهقة ولتفرض عليها واجبات شاقة لم تفرضها على غيرها من الاجيال ، وتأخذها بتكاليف عسيرة تحتاج الى العزم والحزم وقوة البأس وشدة المراس وحسن الاعتماد على النفس وشدة الثقة بالله . وجيلنا الحاضر من هذه الأجيال فهو يمتحن أعسر امتحان عرفه التاريخ . يمتحن فى حضارته كلها فى حياته المادية التى تنهار من كل وجه ، وفى حياته المعنوية التى تهاجم من كل صوب ، يمتحن فى القيم العليا التى آمنت بها الانسانية قرونا متصلة قيم العلم والخلق والدين . فلا غرابة فى أن تكون الواجبات التى ينبغى أن ينهض بها هذا الجيل من أعسر الواجبات التى عرفها الناس وأثقلها حملا . وأول هذه الواجبات الصبر على المحنة والثبات للفتنة والنفاذ من الخطوب والاحتفاظ بالايمان الذى يبقى على هذه القيم التى بنيت عليها الحضارة الانسانية . وما من

شك فى أن اعداد الطلاب للنهوض بهذه الواجبات الثقال هوالمهمة الأولى التى يعرض على معاهد التربيـة والتعليم أن تنهض بها لتخرج للانسانية شبانا يؤمنون بالحق والعـدل والخير ويضحون فى سبيلها بكل شئ وبالحياة حين تطلب اليهم التضحية بالحياة . وليس هذا كل ما يجب على معاهد التربية والتعليم أن تنهض به من الواجبات فى هذه الظروف الخرجة التى تحيط بالانسانية ، ولكننا فى عهد تبدل عنيف وتغير خطير ، وستخرج الانسانية ظافرة من هذه الأزمة الهائلة ، ظافرة بمثلها العليا وغاياتها النبيلة السامية ، ولكن مناهج الحياة وأساليب العيش ونظم العلاقات بين الأفراد والجماعات وبين الدول والشعوب ستتغير وتتبدل من غير شك .

فالانسانية تختم عهدا من عهودها وتستأنف عهدا جديدا . ولا بد من اعداد الشباب ليواجهوا هذا التطورالخطير ولينهضوا بتكاليف الحياة فى العهد الجديد على أحسن وجه ممكن ومن غير أن يتعرضوا للزلل وللاضطراب والتردد الذى يعرضهم لليأس ويضطرهم الى الفشل ويورطهم فى الخيبة والاخفاق .

ولا بد من أن تكون التربية شبانا تنسجم فى نفوسهم قوة الشخصية وقوة الوطنية وقوة الانسانية بحيث تصبح نفوسهم مزاجا معتدلا من هذه الخصال كلها فلا تخضع لدعاة الشر ولا تستكين للطغاة والمستبدين ولا تؤثر نفسها بالخير من دون الذين يشاركونها فى حياتها الوطنية الخاصة ولا تؤثر وطنها بالخير من دون الذين يشاركونها فى الحياة الانسانية العامة .

ولا بد من تزويد النشء بما ستحدثه الحرب كل يوم ، من ضروب المعرفة وماتنشئه من الوسائل الجديدة للتطور المـادى والمعنوى .

وقد تنبه رجال التربية الى ما يجب عليهم من اليقظة الدائمة والنظرة الواسعة الى ما يقع فى العالم من الأحداث وبخاصة فى عصر كالعصر الذى نحن فيه فقد ألغيت مسافات الزمان والمكان وألغيت الحواجز بين الأمم والشعوب وأصبح من المستحيل على بيئة أن تحمى نفسها من التأثر بمـا يحدث فى البيئات الأخرى من خير أو شر .

فالمربون الذين يقتطعون لأنفسهم قطعة من الزمان أو من المكان ويظنون أنهم يعيشون فيها مع تلامذتهم بمعزل عمـا يقع فى العالم من الحوادث والخطوب يعرضون أنفسهم وتلاميذهم لخطر عظيم هو خطر مواجهة الحوادث على غير استعداد لهـا فضلا عن التغلب عليها . ولم يمر على رجال التربية وقت يحتاجون فيه الى أن يذكروا واجباتهم دائمـا ويفكروا فى دقائقها فى كل لحظة كالوقت الذى يعيشون فيه الآن . فهم كانوا فيما مضى مستأثرين بعقول التلاميذوقلوبهم يكونونها كما يريدون ويصورونها كما يحبون تشاركهم فى ذلك الأسرة والبيئة

الاجتماعية مشاركة قليلة أو كثيرة. ولكن الأمر قد تغير الآن تغيرا تاما فالطفل والشاب لا يتأثر بمدرسته وأسرته فقط ولكنه يتلقى تأثيرات مختلفة من بيئات مختلفة متباينة ، من الصحف التي يقرؤها والكتب التي ينظر فيها والمذياع الذي يسمع له وملاعب السينما والتمثيل التي يختلف اليها والمناظر المتباينة التي تقع تحت حسه في غدوه من البيت و رواحه اليه . وكل هذا من شأنه أن يعرض عقول النشء لكثير من الاختلاط والاضطراب و يعرض أخلاقهم لكثير من الضعف والفساد ، وهو يجعل تأثير الاستاذ في تلميذه محتاجا دائما الى الرعاية والعناية بحيث يكون قويا قادرا على مقاومة هذه المؤثرات المختلفة التي ربما كان فيها كثير من الخير ولكن فيها كثيرا من الشر أيضا ، ويخيل الى أن الواجب الأول على رجال التربية في هذه الأيام هو أن يعنوا بعقول التلاميذ وقلوبهم بحيث تصبح قوية قادرة على المقاومة من جهة ومرنة قابلة للتأثر والانتفاع من جهة أخرى وخيرة على كل حال .

سيداتي سادتي :

لم أرد بالطبع في هذا الحديث القصير أن أفصل مهمة التربية الحديثة في هـذه الأيام ولا أن أعرضها عرضا موجزا و إنما أردت شيئا أيسر من هذا وأقرب منالا ، ولكن له مع ذلك خطره وأهميته ، وهو أن أمس بعض المسائل التي تتصل بالتربيـة وما يجب عليها وما ينتظر منها في هذه الأيام لأصل الى شيء واحد هو أن العناية التي بذلت الى الآن في درس شؤون التربية ونظمها على أهميتها ليست شيئا بالقياس الى ما يجب علينا منذ الآن أن نبذل من العناية بهذه الشؤون .

وقد فرضت الحياة الحديثة على الدول والشعوب واجبات خطيرة لا سبيل الى تحقيقها إلا اذا هيئت الأجيال لها تهيئة حسنة منظمة، ولا سبيل الى ذلك إلا اذا كانت أمور التربية موضوع الملاحظة الدائمة والعناية المستمرة والنقد المتصل والتمحيص الدقيق .

سيداتي سادتي :

ليس شيء أروح لقلبي من تهنئة الشبان الذين أتموا دراستهم أو قطعوا أشواطا في سبيل إتمامها . وهم يستحقون التهنئة على جهودهم التي بذلوها مخلصين وكوفئوا عليها فائزين . و إن كانت لي كلمة أوجهها اليهم بعد التهنئـة فهي أن يستقبلوا حياتهـم العملية بأضعاف ما استقبلوا به حياتهم العلمية من القوة والعـزم والمضاء . ذلك لأن دنيا العمل ليست حلوة ولا رطبة و إنما هي دنيا جد ونضال ، ولا بركة فيها إلا بالصبر والثبات على المحن ، وقديما قالوا إن المحن من أسرار التربية الإلهية . حتى إن الله تعالى ربى يوسف في السجن وابتلاه بالعبودية قبـل أن يوليه على أهل مصر . والشبان لا يمكن أن ينجحوا إلا بالنية الصـادقة

الغضة ؟ وهل وكلنا التعليم الأولى والابتدائى الى النساء ؟ يخيل الى أن الطفل فى مرحلة التعليم الأولى والابتدائى يجد جفوة فى التدريس وعسرا فى الفهم ويعانى حياة لاتلائم حاله كل الملائمة . فهذه المرحلة من التعليم تعوزها الأركان الأساسية لدور الحضانة . تعوزها جهود المرأة وروحها ورعايتها ، ويكفى إلقاء نظرة على التعليم الابتدائى والثانوى ليظهر ضعف الفوارق بينهما فى الروح والجو وظروف المكان .

فالطفل فى مرحلة التعليم الابتدائى لا غنى له عن اللهو فهو من عوامل نمائه العقلى والخلقى . ومن واجبنا أن نعنى إذن بلهو الطفل حتى يعود وسيلة للتثقيف والتربية نربى فيه الذوق وحب النظافة ودقة الملاحظة وبعد النظر . وعلينا ألا نفرض اللهو عليه فرضا كالتعليم بل ندعه يقبل عليه فى رغبة وشغف بيد أننا نقف منه على مرقبة فنجتنبه اللهو الضار المفسد لمشاعره وأخيلته . فهل نهضنا من ذلك بشىء ؟ هذه رياض الأطفال قائمة . وأشهد أنها محاولة موفقة ولكن ما عددها وما عدد الأطفال الذين يتفيأون ظلها ؟ إنها أرستقراطية مترفة يعنى فيها بالعشرات أو المئات لا بالآلاف والملايين . . . فإذا شئنا صلاحا فلنجعل التعليم الأولى كله رياض أطفال للفقراء ولنبتعد فى أوضاعها عن الزخرف ، ولنجر فى أنظمتها على التبسط ، حتى ندنو من مستوى أولئك الأطفال فنستطيع فيما بعد النهوض بهم الى المستوى الاجتماعى اللائق .

لقد كنت أرقب عن كثب ما أعد للأطفال من معاهد فأرى معاهد التعليم الأولى تضم مليونا من الأطفال على حين أن الذين فى سن التعليم الأولى كما أعلم يقربون من ثلاثة ملايين أو أكثر واذن فهناك مليونان لا يأخذون من هذا التعليم قسطهم الضرورى وإنى أسائل نفسى هل أعدت مدارس التعليم الأولى لتربية الطفولة ؟ وهل هيء أستاذتها لهذه المهمة السامية ؟ وهل اختيرت أمكنتها صالحة وافية ؟ وهل وضعت برامجها ناضجة مجدية ؟ وأنى أرجو ألا أكون ظالما للتعليم الأولى إذا قلت إن كثيرا من معاهده وعلى الأخص فى الأقاليم محابس يحشر فيها الأطفال كرها على الرغم من ذويهم الفقراء الى عونهم . يحشر الطفل السليم هناك مع المريض الشاذ ، والذكى الى جانب الغبى والصغير مع الكبير فاذا قضى أولئك فترة فى هذه المحابس غادروها الى محيط الجهالة والأمية ، لاندرى ماذا أفادوا ولا يدرون السبيل الى الانتفاع بما يكونون قد درسوه ؛ ثم إذا بهذا المحيط يطغى عليهم فيعودون أميين كما كانوا . . . وكثيرا ما كانت تروعنى هذه الحال فانى ما برحت أدعو الى ضرورة وضع أسس جديدة للتعليم الأولى تجعله مثمرا فى الحياة فإصلاح العشر خير من افساد الجميع . وقد نبتت فكرة ترمى الى أن يوكل التعليم الأولى الى النساء خاصة فهن على القيام بأغراضه أقدر ولطالما

جهرت بأن لحضانة الطفل فترة مقررة يقضيها فى أحضان النساء فكيف نلقى به خلالها فى يد الرجل ، فكان الجواب فى محيط هذا التعليم المتآلف بسقوط تأنيث التعليم الأولى .

ولنترك التعليم الأولى جانبا فله رجاله الموكلون به راجين لهم التوفيق فيما يبذلونه فى اصلاحه من جهود مشكورة نرجو أن تؤتى ثمرتها قريبا وننظر فيما أعددناه من مؤسسات للطفولة والأمومة . كل ما أعددناه مستوصفات قليلة العدد فى بعض العواصم ومستشفيات محدودة العدد فى الأقاليم لا تتسع لشعب مريض و يقوم عليها أطباء لم يتفرغوا لهذا الواجب كل التفرغ ولا يفى عددهم بالحاجة و بها عيادات خارجية لا تستطيع أن تنهض لهذا العبء ولذلك لا يتسع الوقت ولا تتوافر الوسائل الكافية لفحص أو تشخيص مثمر مما قد يؤدى الى إعطاء الدواء ارتجالا إن أفاد مرة فقد يضر بضع مرات . وهناك الحوامل من الفقيرات وأوساط الناس لا يلقين رعاية فى الحمل والولادة والرضاعة ، قد يكون القليل من هذا ميسورا فى الحواضر على طريقتنا فى الإصلاح . نرفه عن المدن ونحرم الريف فلا نعطى لليد العاملة فى الزراعة قسطها من الرعاية ، تلك اليد التى تعيش فى الريف ولا تغادر الريف ويقوم على أكتاف ذويها صرح الثروة القومية للبلاد .

فإن كنا ننشد إصلاحا فلنعن بالطفولة فى الريف والحواضر ولتكن عنايتنا سابقة مبكرة ، فالطفل فى حاجة الى العناية منذ تشوئه جنينا فى بطن أمه ، وكلما نضج احتاج الى لون من الرعاية جديد يلائم تطوره ونموه . وما دامت أغلبية الأمهات عندنا أميات لم يصلن بعد الى لون من المعرفة ، فعلى الدولة واجب النهوض بالعبء وذلك بإنشاء مؤسسات كافية لتربية الأطفال ورعايتهم حتى نجنبهم خطر الحضانة الضارة وأثر الأم الجاهلة .

على أن انقاذ الطفولة فى مصر يحتاج الى برنامج مرسوم تعين له فترة من الزمن ينفذ خلالها ، لا يتأثر بتغير الحكم ، ولا تثنينا عنه الاحداث والمشاغل . و يجب أن يكون هذا البرنامج وليد الدراسة العميقة فيقدر المال اللازم له وتحشد له قوى الأمة . ولا بد أن يكون متناولا للطفل من منبته ومغرسه الى تمام نضوجه فلا تغفل أية ناحية من النواحى التى تعرض صحته للضعف وخلقه للانحلال وتربيته الى الهوى والعبث . وانى لأنادى بوجوب التفكير فى هذا البرنامج وأنا أرى الأمم تجرى الى الأمام فى ميدان الطفولة بسرعة الطيران فكل توقف منا يعتبر رجوعا القهقرى بسرعة الطيران كذلك ، فاذا كانت هناك بقية من أمل فى الإصلاح فليكن أول ما نعنى به شؤون الطفولة .

محمد العشماوى

صيحة طبيب إنسان

لإنقاذ العمال من الانتحار بالجوع

بقلم الأستاذ سيد قطب

قدم الدكتور الفاضل عبد المجيد رمزى مدير قسم المسائل الصحية بوزارة الصحة إلى معالى وزيرها مشروعا لتحسين الحالة الصحية والاجتماعية للعمال . وردت فى مقدمته هذه الفقرات :

"إن هذا البلد سائر فى طريق الفناء، يأكل بعضه بعضا كلما كثر السكان، ونشطت الصناعة والأعمال فيه . وأرى أنه لابد من العمل السريع لتحسين حال العمال صحيا واجتماعيا لدرء هذا الخطر الناتج عن قلة الأجور ، وأنه لا فائدة من كل علاج أو إصلاح آخر .

"وإنى بصفتى من رجال الصحة أطلب رفع أجور العمال مهما كانت النتائج الاقتصادية. فما نطلب إلا حقا شرعيا ، فان كانت أوضاعنا لاتطابق هذا الحق فيجب أن نعدلها ، لأن المبادئ الاقتصادية فى جميع أنحاء العالم كلها تقر بما للفرد من حق الحياة . ولهذا يجب أن تنتهى من هذه المشكلات الصحية لتتفرغ الوزارة لأعمال صحية أخرى كمسون النسل وتكوين البنية المصرية" .

وهذه صيحة إنسان قبل أن تكون صيحة طبيب ، أو صيحة طبيب إنسان ، يهوله انحدار الطبقات العاملة إلى الموت البطىء بالجوع بسبب حالة الغلاء الراهنة .

بين يدى وأنا أكتب هذه الكلمة إحصاء عن الأرقام القياسية العامة لنفقات المعيشة فى شهر أبريل الماضى ، ومنه يتبين أن هذا الرقم هو ٢١٦ (١٠٠ سعر ما قبل الحرب) مقابل ٢١٢ فى شهر مارس السابق عليه . وفى ابريل سنة ١٩٤١ كان الرقم القياسى ١٦٤ أما فى ابريل سنة ١٩٤٠ فكان ١٣٧ فقط .

ولقد كان مستوى معيشة هذه الطبقات منحطا الى أقصى درجات الانحطاط قبل الغلاء وقبل ارتفاع الأسعار الى هذا الحد المبهظ ، فكيف يكون هذا المستوى الآن ؟ إنه يكون كما يصفه حضرة الطبيب الإنسان حين يقول : "إن هذا البلد سائر فى طريق الفناء يأكل بعضه بعضا ."

ويقول حضرة الطبيب فى صيحته الإنسانية : "وإنى بصفتى من رجال الصحة أطلب رفع أجور العمال مهما كانت النتائج الاقتصادية" فنفهم من هذا أنه لم يشأ الدخول فى تفصيلات اقتصادية لأن الخطر الذى يراه ماثلا أمامه تهون بإزائه كل العوامل الاقتصادية

فحسب أن نقول لحضرته ولمن يخدعون بتهويلات أصحاب رءوس الأموال عن أخطار رفع الأجور وعن أثرها فى اضطراب الموازين الاقتصادية فى محيط الصناعات: إن هذه الأخطار لا وجود لها فى الظروف الحاضرة ، وإن أرباح الشركات والملاك فى هذه الأيام مضاعفة أضعافا كثيرة ، ولن تتأثر بارتفاع أجور العمال إلى الحد المعقول .

وعلى سبيل المثال نورد الجدول الآتى الذى يبين ارتفاع أسعار الأسهم فى بعض الشركات .

اسم الشركة	سعر السهم فى ٢٩-٤-١٩٣٩	سعر السهم فى ٣٠-٤-١٩٤٢	الزيادة المئوية
الملح والصودا	١٣١,٥ قرشا	٤١٥ قرش	٢١٥ فى المائة
المالية والصناعة	٣٦٧,٥ »	١٥٧٠ »	٣٢٧ »
العزل الأهلية	٤٩١ »	١٤٦٠ »	٢٩٧ »
مصر للغزل	٥٠٠ »	١٣٠٦ »	٢٦١ »
الأسمنت المصرية	٧١٠ »	١٩٠٠ »	١٦٧ »
حلج الأقطان	٤٢,٦ »	٨٦ »	١٠٠ »
بوموتى	٣١٦,٣ »	١٥٠٦ »	٣٧٦ »
الكراون بروورى	٣٨٩,٦ »	١٥٠٠ »	٢٨٥ »

فما معنى هذا ؟ معناه أن رأس مال حاملى الأسهم قد تضاعف عدة مرات ، فى حين أن أقصى زيادة وصلت إليها أجور العمال فى بعض الشركات هى ١٠ فى المائة وفى أحوال نادرة بلغت ٢٥ فى المائة لصغار العمال ، بينما لم تزد شيئا فى شركات أخرى كثيرة .

وأما كبار الملاك والزراع فقد زادت أرباحهم كذلك بما يقرب من هذه النسب إذ ارتفعت أثمان الأراضى وإيجاراتها كما ارتفعت أثمان المحاصيل ارتفاعا فاحشا بالنسبة لما قبل الحرب ، ولم يزيدوا أجر العمال فى أراضيهم إلا بنسب ضئيلة . وحسبنا أن نذكر أن ثمن إردب القمح كان قبل الحرب لا يتجاوز ١٧٠ قرشا فوصل الآن إلى نحو ٤٠٠ قرش فى السوق الحرة ، بل وجد من التجار المهربين من يشترى الإردب بخمسة جنيهات . فكانت نسبة الزيادة المئوية تعادل ٢٥٠ ٪ تقريبا .

فإذا فرضنا أن نفقات الانتاج قد ارتفعت بما يعادل ١٠٠ ٪ كان من ذلك أن صافى أرباح الملاك والمزارعين حوالى ١٥٠ ٪ على أقل تقدير .

فما معنى هذا وذلك؟ معناه أن الأثرياء يزيدون ثراء بسبب الحرب، وأن الفقراء يزيدون فقرا ، وأن الملايين العاملة فى هذه البلاد تتعرض للانتحار عن طريق الجوع ، كما تتعرض الثروة القومية للبوار فى سبيل إشباع نهمة لا تشبع ، وفى سبيل الترف الذى يتمتع به بضعة ألوف من الأغنياء ؟

و بينما تتجه مصر وحدها دون بلاد العالم هذ الاتجاه الخطر نسمع مستر إيدن وزير خارجية انجلترا يخطب فى أدبره فيقول :

" أول شيء يجب أن نعمله هو أن نفهم الأمور بغير الطريقة التى فهمناها بها من قبل فنؤمن بأن علينا تبعة مباشرة لا مفر منها وهى تبعة صون السلام فى جميع العصور .

" ولن تذوقوا طعم السلام بدون إصلاح اجتماعى، فإذا انتهت الحرب وأصبح فى هذه البلاد ثلاثة ملايين من العمال المتعطلين عن العمل ، وفى أوروبا وأمريكا وآسيا ملايين غيرهم فان العالم لن يعرف معنى السلام .

" و إذا ظهرت فى العالم آثار البطالة وسوء التغذية وهبوط مستوى المعيشة إلى درجة الحيوانات ، وانتشرت الفاقة بدون علاج مع إمكان علاجها فإن أركان السلام تصبح معرضة للخطر "

فهذه كلمات رجل عظيم متسع الآفاق لا تلهيه مشاغل الحرب والسياسة عن النظرة البعيدة إلى حقيقة المؤثرات الاجتماعية العالمية، فهو يعلق سلام العالم على الاصلاح الاجتماعى الذى يكافح التعطل، و يقاوم سوء التغذية وهبوط مستوى المعيشة، وهو ينذر مستمعيه بأنهم لن يجدوا السلام إذا أهمل هذا الإصلاح .

وكل الدلائل تشير إلى أن العالم كله يتجه هذا الاتجاه، وأنه لا مفر لأمة من أمم الأرض عن مسايرة التيار ؛ و إلا كانت ناشزة فى عالم يتجه كله وجهة معروفة .

إن انجلترا تجبى الآن من الضرائب ما يساوى ٩٥ فى المائة فى بعض الحالات وأمريكا تجبى ٩٩ فى المائة فى أحوال خاصة ، وتبلغ النسبة فى تركيا ٩٠ فى المائة كذلك . ويخطئ بعض من يعتقدون أن ضرورات الحرب وحدها هى التى تقتضى رفع نسبة الضرائب على الإيرادات العالية، وأن الأمور ستعود إلى ما كانت عليه قبلها . فقد تنخفض هذه النسب بعد الحرب ، ولكنها لن تعود إلى ما كانت عليه ، لأن الاتجاه العالمى كله يحاول تحقيق العدالة الاجتماعية كما يحاول تقريب الفوارق بين الطبقات وهذه الضرائب وسيلة لا بد منها لتحقيق هذين الغرضين، كما أنها وسيلة لتنهض الميزانيات العامة بما يطلب اليها من الخدمات الاجتماعية .

وكذلك الحال فى العناية البادية بالطبقات العاملة فى جميع شعوب الأرض ، فليس منشؤها أن هـذه الطبقات هى أدوات النصر فى الحرب الحاضرة فحسب ، ولكن منشأها هو هذا الاتجاه العالمى نفسه إلى تحقيق مستوى عادل للعيشة بين هذه الطبقات يتحقق معه السلام الذى ترجوه الشعوب بعد هذه الأهوال .

وكل إصلاح صحى أو اجتماعى مقضى عليه بالفشل ما لم يرتفع مستوى حياة هـذه الطبقات ، وقـد دلت كل المحاولات التى أرادتها الهيئات الاجتماعية على هذه الحقيقة . فالدكتور عبد المجيـد رمزى يقول : " وأرى أنه لا بد من العمل السريع لتحسين حال العمال صحيا واجتماعيا لدرء هذا الخطر الناتج عن قلة الأجور ، وأنه لا فائدة من كل علاج أو إصلاح آخر". ومستر" رز بلبى" الذى تبرع بعدة إصلاحات اجتماعية فى "عزبة الحديدى" لتحسين حال مزارعيه يقول فى كتاب منه لجريدة الأهرام بعـد أن نوهت بعمله الاجتماعى المشكور :

" قرأت بكثير من الاهتمام البيان المنشور فى الأهرام عن الطرق المتخذة عندنا منذ بضع سنوات لتحسين حالة الفلاحين ومعيشتهم . وإنى أشكركم كل الشكر على اهتمامكم بهذا العمل. غير أنى أرى من واجبى أن أقول : إن كاتب البيان قلل من ذكر المانع الأساسى الحائل دون هذا التحسين ، وهو ضآلة إيراد السكان الزراعيين .

" وإنى لأعترف بالرغم مما أراه من فلاحينا من صدق المعونة وحسن الإرادة بأن النجاح الذى أمكن تحقيقه لهم فيما يختص بالصحة ونظام المعيشة ما زال قليلا لا يذكر ، وذلك للسببين الآتيين :

" الأول — إن قلة كسبهم لا تسمح لهم بأن يتناولوا ما يحتاجون اليـه من الأغذية الصالحة اللازمة لشفائهم من الأسقام التى يشكون منها . فهم بالرغم مما يتيسر لهم من الأدوية والإرشادات الطبية لا يفارقهم فقر الدم وضعف البنية .

" الثانى — أنه ليس عندهم من قطع الملابس ما يمكنهم من تغيير الأثواب التى يلبسونها ، وهم لذلك لا يستطيعون استعمال هـذه الأثواب القليلة بحالة نظيفة ملائمة . ولما كان هذا يتعذر معه تنظيف أجسامهم فإنهم يظلون معرضين للأمراض الجلدية والجراثيم وغيرها .

" وإذا كنت قد أردت إبراز هذه الناحية من المسألة ، فذلك لأنى أنا والمساعدة الاجتماعية نرى أن الخدمة الاجتماعية والمعاملة القائمة على الرفق والإحسان لا تكفيان وحدهما لإحداث تحسين محسوس فى حياة الفلاحين " .

وهذه الملاحظات العملية المبنية على التجربة من رجل لا يمكن اتهامه بالمغالاة والانحياز إلى صف العمال الزراعيين لأنه هو نفسه مالك كبير . . . هـذه الملاحظات جديرة بالنظر ، وبخاصة فى هذه الأيام التى يقدم فيها معـالى وزير الصحة مشروعه الضخم لتحسين القرية متضمنا مثل هذه الفقرات :

(١) إنشاء مغاسل ثياب وحمامات منفصلة للنساء والأطفال .

(٢) إنشاء حمامات للتلاميذ فى المكاتب العامة والمدارس الإلزامية القروية .

(٣) إنشاء عيادة طبية مجانية وخدمة صحية للقرى وسكانها وتلاميذها يتولاها طبيب مقترن على الشؤون الصحية القروية وعلى طرق تشخيص وعلاج ومنع الأمراض الأكثر انتشارا فى القرى ، وخاصة الأمراض المتوطنة ، والأرمد وأمراض الجلد والأمراض الوبائية وأمراض سوء التغذية ، ويتولى كذلك الدعاية الصحية بين الرجال .

فأشد مانخشاه ألا يجد هؤلاء القرويون من الثياب ما يغسلونه فى هـذه المغاسل ! وألا يجدوا من الثياب النظيفة ما يلبسونه بعد الحمامات ! وان يظلوا بسبب هذا معرضين للأمراض الجلدية والجراثيم وغيرها كما يقول موسيو "رزبيني" على الرغم من "الدعاية الصحية" التى يكفلها مشروع تحسين القرية . وأخشى ما نخشاه كذلك أن يتحقق ما يقوله موسيو رزبيني فى فقرة أخرى وهو : " إن قلة كسبهم لا تسمح لهم بأن يتناولوا ما يحتاجون إليه من الأغذية الصالحة اللازمة لشفائهم ... فهم بالرغم مما يتيسر لهم من الأدوية والإرشادات الطبية لا يفارقهم فقر الدم وضعف البنية " !

ذلك ما نخشاه ونخشى معه أن تضيع ثمرة هذا المشروع الضخم الذى ستنفق عليه الدولة مليونين ونصف المليون من الجنيهات فى كل عام ، والذى ترجو البلاد من ورائه خيرا عظيما للريف المحزون المحروم .

ومن الإنصاف أن يقال : إن معالى وزير الصحة أدى واجبه بهـذا المشروع ، وإن رجاله يؤدون كذلك واجبهم ، وإن أحدهم يصيح صيحة الإنسانية الصادقة فى تقرير رسمى مقدم للوزير . فاذا جاءت الريح بما لا تشتهى سفينتهم ، وإذا قصرت الوسائل الاقتصادية والتشريعية عن معاونتهم فى واجبهم ، وذهب تقصيرها بفائدة مشروعاتهم ، وبالأموال العامة المرصدة لهذه المشروعات ، فليس الذنب فى ذلك ذنبهم ، وليسوا هم المسئولين بعد هـذا الجهد المشكور .

ومما يدعو الى الأمل اهتمام وزارة الشؤون الاجتماعية بقوانين العمال ، وفى هـذا العدد كلمة مستفلة عن هذه القوانين .

سيد قطب

نصيب الفلاح فى خطاب العرش

للدكتور أحمد حسين

مدير ادارة الفلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية

نال الفلاح فى خطاب العرش النصيب الأوفى من العناية ، وليس هذا بالأمر الغريب ، فالفلاحون يكونون ما يزيد على ثلاثة أرباع سكان البلاد ، وإن كان تحقيق الحكم الديموقراطى الذى تحرص عليه الحكومة يتطلب كما جاء بالنص فى مستهل خطاب العرش " توافر ثقة الشعب فيمن يتولى شؤونه وأن تعمل الحكومة من جانبها على استبقاء هـذه الثقة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون لا كتساب رضى الأمة والعمل على ما فيه خيرها وهناءتها".

فمن الطبيعى ، والحالة هذه أن يتجه هم الحكومة الأول نحو خدمة هؤلاء الفلاحين الذين يكونون الكثرة الساحقة من أفراد الأمة .

ولا أريد أن أتناول ما تضمنه خطاب العرش من المشروعات التى تعود بالخير على الفلاحين كمشروعات الرى والصرف أو تحسين الانتاج الزراعى أو تنمية الثروة الحيوانية أو التوسع فى العلاج القروى أو علاج مشكلات التعليم الأولى والعناية بصحته وتغذية تلاميذه أو غير ذلك من المشروعات التى تقوم على تنفيذها وزارات الدولة المختصة ، وكل ما أرجوه من الله أن يتم تنفيذ تلك المشروعات على أسلم الأسس وفى أقرب وقت حتى لا يطول حرمان الفلاحين من الاستفادة بثمارها .

وعلى ذلك سنقتصر هذا المقال على ما ورد فى خطاب العرش متصلا بمهمة وزارة الشؤون الاجتماعية بل مكونا لصلب مهمتها ألا وهو رفع المستوى المادى والأدبى للفلاحين .

وأول ما قامت به الحكومة بالفعل هو أن استبقت وزارة الشؤون الاجتماعية نفسها لتتمكن من تنفيذ المشروعات العامة التى تزمع الحكومة تنفيذها ، فوزارة الشؤون الاجتماعية ما هى إلا وزارة الطبقات العاملة والمحرومة من الأمة أو هى وزارة الفلاح والعامل .

فالابقاء عليها كوزارة أقوى دليل على أهمية ما تعتزم الحكومة تنفيذه من مشروعات لحماية وخدمة الفلاحين والعمال .

وأول قرار اتخذته الحكومة بالفعل لخدمة الفلاحين وأعلنته فى خطاب العرش هو تخفيف عبء الضرائب عن صغار الملاك الزراعيين باعفاء من يدفعون خمسين قرشا فأقل من الأموال الأميرية إعفاء كاملا ويبلغ عدد المستفيدين من الاعفاء حوالى المليون و ربع المليون مالكا وإعفاء بقية صغار الملاك ممن يدفعون أكثر من خمسين قرشا إعفاء جزئيا وسيستفيد من هذا التخفيض فى ضريبة الأطيان حوالى المليون و ربع المليون مالكا آخرين .

ولاشك أن إعفاء صغار الملاك هؤلاء من كل أو بعض ضريبة الأطيان ينطوى على الكثير من العدل الاجتماعى ، فلكل من هؤلاء الملاك الصغار عائلة يرعاها تتكون فى المتوسط من أربعة أو خمسة أشخاص ولا يتجاوز دخل أغلبهم من أرضهم إلا القليل من الجنيهات . كريم من الدولة أن تتنازل عن مشاركتهم فيها .

وطبقة صغار الملاك هؤلاء يمثلون عنصر جد و نشاط واستقرار اجتماعى مما حدا بالكثير من الدول الى تشجيعهم وحمايتهم بشتى الوسائل .

وأمل أن تتدرج الحكومة المصرية فى سياستها هذه فترى خطاب العرش المقبل وقد تضمن الاعفاء الشامل لمن يدفعون جنيها فأقل من الأموال الأميرية وأن يخفى من يدفعون أقل من خمسة جنيهات بتخفيض جديد .

وبقية المولين غير الزراعيين الذين يقل دخلهم عن ٦٠ جنيها يتمتعون بالاعفاء الكامل من أعباء الضرائب وهذا المبلغ يوازى دخل عشرة أفدنة فى المتوسط .

* * *

ليست طبقة صغار الملاك هى أبأس الفلاحين حالا وأجدرها بالعناية .

فهناك طبقة عمال الأجرة الذين يعتمدون على أجرهم اليومى وليست لهم زراعة خاصة لا مملوكة ولا مستأجرة . وقد أثبتت الاحصاءات أن أجر العامل الزراعى فى اليوم لا يتجاوز الثلاثة القروش وهو مع ذلك لا يجد عملا كل يوم و يقدر بعض الباحثين أن العامل الزراعى لا يشتغل أكثر من نصف أيام العام أى أن دخله اليومى لا يزيد فى المتوسط عن قرش ونصف وهو مبلغ لا يمكن أن يفى بأدنى مطالب الحياة الضرورية فى الظروف العادية ناهيك عن الظروف الغلاء الحاضرة .

وهناك طبقة ثانية لا تقل بؤسا عن طبقة هؤلاء العمال ألا وهى طبقة المستأجرين الذين يدفعون قيما باهظة لايجار الأرض قل أن يتبقى لهم بعد سداده شىء . ومن يرجع الى دفاتر

المستأجرين بالتفاتيش والعزب يجد أن أغلبهم غارق فى دين لن يستطيع سداده مدى حياته مما يجعلهم أقرب الى العبيد ، ان بقى الواحد منهم لا يملك شيئا من محصوله ، وان حاول الخروج يجرد من ماشيته ودابته .

وتشمل طبقة صغار الملاك التى سبق الكلام عنها الكثير ممن يسمون ملاكا على سبيل التجاوز ثمانك القيراط والقيراطين لا بد أن يعتمد فى معاشه على ما يستأجره من أرض اضافية أو على العمل نظير أجر فى حقول الغير فهو فى الحقيقة يدخل فى طبقة العمال الزراعيين أو صغار المستأجرين .

و يرجع سوء حال هؤلاء الفلاحين الصغار الذين تعسهم قسل غيرهم الى ضيق مساحة الأرض المنزرعة واطراد تزايد السكان مما زاد فى عرض العمل وضاعف الطلب على الأرض فهبطت الأجور وارتفعت الايجارات ولا يجد هؤلاء الفلاحون بابا آخر للرزق يتجهون نحوه غير الفلاحة . ولا يجوز أن نقبل ما يبرر به الكثير من الملاك هذا الوضع المختل بأنه نتيجة طبيعية لعوامل العرض والطلب لا حيلة لنا فيها . اذ الواقع أن عرض الفلاح الفقير لعمل ليوفر قوت يومه لنفسه ومن يعول لا يعتبر عرضا اختياريا بل هو عرض " اجبارى " كما يسميه الاقتصاديون .

وقد أدت ضآلة دخل صغار الفلاحين الى تدهور مستوى معيشتهم ، فالفقر هو أس البلاء ، فلن يستطيع هـذا الفلاح المعدم أن يوفر لنفسه الغذاء الكافى أو الملبس اللازم أو السكن الملائم أو غير ذلك من مختلف مطالب الحياة .

واستمرار هذا الحال معناه تدهور وانحطاط لغالبية الشعب وهو أول ما يتعين على أولى الأمر تلافيه وعلى الدولة أن تتدخل لحماية هذه الطبقة البائسة التى تكون سواد الأمة وتستحق كل رعاية وعناية .

ولا يخفى ما فى ترك هؤلاء الفلاحين على ما هم فيه من حرمان من خطر اجتماعى اذا راعينا انتشار التعليم والاذاعة وتحسن سبل المواصلات مما جعل الفلاح أكثر اتصالا بالعلم واذا راعينا الى جانب ذلك ما تجلبه الحروب دائما من تبلبل فى الأفكار وزعزعة فى الأوضاع المألوفة واذا تذكرنا أيضا أن الجوع كافر لا يرحم تبينا ما نكسبه جميعا من وراء تحسين حال هؤلاء المحرومين وتوفير أسباب المعيشة الراضية لهم .

وان كان العلاج الصحيح للحالة يأتى عن طريق استصلاح الأراضى البور وتشجيع قيام الصناعات التى تتوافر لها أسباب النجاح وغير ذلك من الوسائل التى تؤدى إلى فتح أبواب

جديدة حتى يخف ضغط الأيدى العاملة المتزايدة عن الأرض فترتفع الأجور وتنخفض الايجارات ، الا أن تحقيق مثل هذه السياسة يحتاج لوقت ، وحالة الفلاحين لا تحتمل الانتظار.

واننا لجد متفائلين بما جاء فى خطاب العرش بالنص من أن الحكومة لن تتوانى عن العمل لإنجاز الاصلاحات الاجتماعية الحكيمة التى لا غنى عنها لهذا الشعب الوادع العامل وعلاج مشاكله المختلفة علاجا سريعا ورفع المستوى الأدبى والمادى للفلاحين والعمال حتى يصلوا الى مرتبة تليق بكرامة الانسان .

وقد بدأت الحكومة فى تنفيذ سياستها الاجتماعية بتقرير حد أدنى لأجور عمالها بما فى ذلك العمال الزراعيين بحيث لا يقل أجر الواحد منهم عن خمسة قروش فى اليوم . وقد ناشدت الحكومة كبار الزراع أن يحذو حذوها فى تطبيق هذا القرار .

ومما يؤسف له أن غالبية كبار الزراع قد جعلت أذنا من طين وأخرى من عجين واستمروا فى دفع الأجر العادى دون النظر الى ارتفاع أثمان محاصيلهم الى الضعف أو أكثر من الضعف وغير مكترثين لحالة عمالهم وكيف يستطيع الواحد منهم أن يوفر لنفسه الخبز القفار وأجره ثلاثة قروش وقد ارتفع ثمن كيلة الذرة حتى بلغت الأربعين قرشا بل وجاوزها فى كثير من الجهات .

ونحن نذكر صياح أهل المدن المترفين عند ما حتمت الظروف خلط خبزهم بقليل من الذرة التى شابت بياضه ، أو تذمرهم من منع بيع اللحم بعض أيام الأسبوع رغم توفر الطيور والأسماك ، فما لنا لا نشعر بحال هؤلاء الفلاحين الجياع الذين لا يحصلون رغم كدهم على ما يسد رمقهم من خبز الذرة فقط .

أصبحت الدولة الحديثة لا تنظر الى واجبها الاجتماعى نحو الطبقات العاملة والضعيفة على أساس أنه ضرب من الاحسان أو الرحمة بل أصبح الواجب الأول للدولة توفير مستوى المعيشة الملائم لمجموع الشعب وهو يتكون لديها من هؤلاء الفلاحين الصغار فهم الأمة المصرية ومن كدهم وعلى حسابهم يترف كبار الملاك والأثرياء والموظفون .

وأملنا أن تلجأ الدولة لسلطة التشريع فى تقرير الحد الأدنى للأجور وسيصل هذا التشريع الى جيب من أصم أذنيه عن الاستجابة للنداء الانسانى .

كما نرجو أن تتدخل الدولة عن طريق لجان محلية فى تحديد قيم إيجار الأراضى بما يحفظ للمالك حقه و يضمن للمستأجر جزاء عادلا نظير كده .

أود أن نذكر دائما أن الحكومة وحدها لن تستطيع أن تقدم للفلاح كل ما يحتاج اليه وأن ما تقدمه الحكومة من خدمات لا يمكن أن يثمر الثمرة المرجوة الا اذا تفهمها الفلاح أولا واقتنع بفائدتها وسعى لتحقيقها، وقد أثبت مشروع المراكز الاجتماعية أنه خير مشروع لإصلاح حال الفلاح والقرية من كافة النواحى الاقتصادية والصحية والاجتماعية فى وقت واحد و بأقل التكاليف .

وميزة هـذا المشروع أنه يقوم على أساس اقتناع الأهالى أولا بمزاياه ومساهمتهم ماديا وأدبيا فى تحقيق الاصلاح .

وقد أثبتت التجربة نجاح هذا المشروع ، وان كانت الظروف الحاضرة وحالة الميزانية قد اضطرت الحكومة الى وقف معظم الأعمال الجديدة الا انها قد أبقت على الاعتماد اللازم لزيادة عدد المراكز الاجتماعية الجديدة فى السنة المقبلة .

قصر الله فى عمر هذا الحرب حتى يتيسر تعميم تلك المراكز فى جميع أنحاء الريف فينعم الفلاحون بخدماتها و يتوافر لهم المستوى المـادى والأدبى الذى نتمناه لهم جميعا .

أحمد حسين

كسوتنـا من قطنه الجديد لقمتنا من قمحه الحصيـد
قوتنـا من جهـده الجهيـد فـا لنـا يا قوم لا نرعاه ؟

* * *

ما باله من قطنه عريانا ؟ ما باله من قمحه جوعانا ؟
ما باله من جهده هزلانا ؟ ما باله يصرخ من بلواه ؟

(من المحفوظات العربية الجديدة)

قوانين العمال

معناها تنظيم حياة ربع السكان

يجب أن نسجل لمعالى وزير الشؤون الاجتماعية الأستاذ عبد الحميد بك عبد الحق فضيلة نادرة وهى أنه لا يزال يذكر أنه من الشعب بعد أن صار وزيرا ! وآية ذلك أنه لا يزال يعنى بالعمال وقوانين العمال ، ويهتم بتنفيذ الآراء التى كان يبديها وهو خارج الحكم ، وتلك — كما قلت — فضيلة نادرة تستحق التسجيل فى حياتنا الاجتماعية !!!

فى يوم ٨ يونيه سنة ١٩٤٢ عرض مجلس الوزراء لبحث مشروعات قوانين العمل والعمال وهى ثلاثة : مشروع قانون تأليف نقابات العمال، ومشروع قانون عقد العمل، ومشروع قانون التأمين الإجبارى ضد إصابات العمل .

وقد وافق المجلس على المشروعين الأولين وقرر إرجاء المشروع الثالث إلى جلسة أخرى، ثم وافق على المشروع الثالث، وأحيلت هذه المشروعات إلى البرلمان وقد تضمن المشروع الأول إدخال طائفة سائق السيارات الخصوصية والخدم ضمن طوائف العمال التى تتمتع بهذه القوانين ، وكانت المشروعات القديمة لا تعترف لهاتين الطبقتين بهذه الصفة . وكذلك تضمن حق النقابات فى أن تنضم إلى اتحاد للنقابات ينشأ بنفس الشروط .

وكان هناك مشروعان آخران انتهى معاليه من وضعهما ليعرضا على مجلس الوزراء وهما : مشروع قانون بتحديد حد أدنى لأجور العمال سواء لعمال الزراعة والصناعة (ربما صدر به أمر عسكرى خاص) ومشروع قانون بشأن التأمين الإجبارى ضد المرض والشيخوخة . (وقد عرض هذا القانون فعلا) .

وقد نشرت الأهرام ملخصات لبعض هذه القوانين ولفت نظرها مالفت نظرنا بالضبط وهو تلك الظاهرة الغريبة ، ظاهرة تمسك وزير بعد أن يصبح وزيرا بآرائه وعقائده التى كان يؤمن بها يوم أن كان من الشعب ! فقالت :

" ومما يذكر أن معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ضمن هذه المشروعات ومشروعات العمل والعمال التى أسلفنا ذكرها جميع الآراء والمبادئ التى كان ينادى بها طوال عهده البرلمانى " !

ومما يزيد فى أهمية هـذا التمسك أن قوانين العمال تصطدم بقوى خفية مرهوبة الجانب فى الحياة المصرية وتكاد تجعل مركز الوزراء مهددا كلما أصروا على القيام بواجبهم !

ما معنى قوانين العمال التى نعلق عليها كل هذه الأهمية ؟

معناها تنظيم حياة مليون من عمال الصناعة وثلاثة ملايين من عمال الزراعة ؛ وإذا كان المقصـود بهذه القوانين كلها هو الفريق الأول ، فإن أمر تحديد الأجور سيتناول الفريق الثانى ، وهو أهم شىء بالنسبة للجميع .

وهؤلاء الملايين الأربعة يكفلون ثمانية ملايين أخرى على الأقل ، فقوانين العمل تتناول حياة اثنى عشر مليونا فى الحقيقة ، وهى الملايين المنتجة التى تقوم على كواهلها ثروة البلد ، وكيانه الاجتماعى الأصيل .

ومن هنا كانت لها هذه الأهمية ، وكان لتأجيلها إلى اليوم معنى الإهمال والتقصير فى حقوق الغالبية العظمى من هذا الشعب الطيب القلب الذى صبر طويلا على الإهمال والتقصير !

فلنقل كلمة عن كل من هذه القوانين :

إن أمر أو قانون الحد الأدنى للأجور هو شىء ضرورى لتكملة مشروع قانون الحـد الأقصى لساعات العمل. وكلاهما بدون الآخر لا يستطاع ضبطه وتنفيذه على الوجه الصحيح. ذلك أن تحديد ساعات العمل بدون وضـع حد للأجور يمكن صاحب العمل من إنقاص الأجر تبعا لنقص عدد الساعات ؛ والعامل المسكين يتأثر بهذا أشد التأثر لأن الأجر المنخفض الحالى والذى سيظل منخفضا نسبيا مهما زيد فيه على الأساس المعمول به الآن ، لا يكاد يفى بأقل الضروريات اليومية ، فإذا نقص عن هذا المستوى تبعا لتحديد ساعات العمل تعذرت الحياة تعذرا ماديا على طبقة العمال ، فيضطرون لقبول العمل ساعات إضافية أخرى بأجر إضافى — حسب القانون — هو فى حقيقته تكملة للأجر اليومى المعتاد وتكملة لساعات العمل المرهقة التى خفضها القانون ! وبهذه الحيلة تبطل حكمة القانون بتحديد أقصى ساعات العمل.

وكذلك الحـال فى وضع حد أدنى للأجور مع عدم وضع حد أقصى لساعات العمل . فهو يمكن صاحب العمل من زيادة هذه الساعات فى مقابل الزيادة التى يكفلها القانون فى الأجر ؛ ولما كانت ساعات العمل الحالية هى أقصى ما تستطيع الطاقة البشرية أن تحتمله ، فإن زيادتها معناه تعريض صحة الطبقات العـاملة بل حياتها للتلف — ولا سيما فى بعض الصناعات الثقيلة والخطرة — ومعناه تبعا لهذا تشريد أطفالهم ونسائهم ، وإضافة ألوف أخرى لقائمة الأطفال المشردين والنسوة العواطل أو السواقط !

لهذا يجب أن يتلازم هذان القانونان فى كل مراحلهما . ولكن تلازمهما لم يكن ليغنى من الوجهة العملية لو لم يصاحبهما قانون تأليف نقابات العمال الذى طال عليه الأمد، والذى حاربه أصحاب الأعمال ومأجوروهم من أصحاب الأقلام وأصحاب الصحف سنوات طوالا .

والضمانات القانونيـة لا تكفى فى كل حالة للإصلاح الاجتماعى ما لم يؤيدها الواقع وطبائع الأشياء . فلو اكتفينا بتحـديد أقصى ساعات العمل وأدنى فئات الأجور ، لبقى ضعف العامل أمـام صاحب العمل عائقا عن تمسكه بحقه الذى يخوله إياه القانون ، ولما استفاد شيئا من هذه الضمانات ولا من سواها مما تكفله له قوانين العمال الأخرى .

وإنشاء النقابات — ثم انشاء اتحاد النقابات — هو الذى سيكفل للعامل القوة المقابلة لقوة رأس المـال ، ويمكنه من الانتفاع بالمزايا العادلة التى تكفلها له قوانين العمل .

وهذا هو السبب الذى حورب من أجله هـذا القانون منذ زمن بعيد واستخدمت فى محاربته وسائل مختلفة منها — ويا للسخرية — التظاهر بالعطف على مصلحة العمال !

وهناك مشروع قانون عقد العمل، وهو مشروع كان سيبقى معطلا من الوجهة العملية ما لم يعترف القانون بالنقابات العمالية و باتحاد النقابات، فالنقابة هى التى تملك القوة الكافية لعقد بشروط لا تضيع فيها حقوق العمال، والاتحاد هو الذى يزيد النقابة قوة فى مواجهة نفوذ رأس المـال، وبذلك يضمن العامل تنفيذ الشروط التى يتضمنها عقد العمل و يضمن التعامل مع أصحاب الأعمال على قدم المساواة .

* * *

ولا نحب أن ندخل فى تفصيلات الحد الأدنى للأجور ، فهناك صعوبة كبرى فى تعيين هذا الحد وتوحيده فى الصناعات المختلفة ثم فى الجهات المختلفة . ولكن هناك أساسا صالحا للأخذ به .

فالمفهوم أن مستوى حياة العامل لا يقوم على الأجور الاسمية التى يتقاضاها ولكن يقوم على مقدار قوة شراء هـذه الأجور ، أى بمقدار ما تستطيع هذه الأجور شراءه من المواد اللازمة للحياة .

وعلى هذه القاعدة يمكن أن يوضع الحد الأدنى للأجور فيصلح بهذا لكل زمان ، ولا يحتاج إلى التعديل حسب ارتفاع الأسعار وانخفاضها .

والذى نقترحه — ترجمة لهذا — أن يكون الحد الأدنى هو ما يقابل ثمن كذا من القمح — وهو المـادة الغذائية الأساسية — على أن يكون نصف هذا المقدار المحدد هو

ما يكفى لإطعام عامل متوسط أفراد عائلة أربعة سواه ، أما نصفه الآخر فيقابل الإدام والمسكن واللباس .

ثم تظل النسبة محفوظة بين الأجور والأسعار ، أو بينها وبين المقدرة على الشراء فترتفع أو تنخفض بحسب ما تستطيع شراءه من الحاجيات .

والمحظور الوحيد فى الأخذ بهذا الأساس هو التقلبات التى قد تجعل ثمن القمح غير متناسب مع ثمن بقية الضروريات لسبب من الأسباب . فقد يصبح من سياسة الدولة بعد الحرب مثلا أن ترفع القيود الجمركية عن القمح لخفض سعر المادة الغذائية الرئيسية ، وفى مثل هذه الحالة لا يصعب تعديل الأساس الذى بنيت عليه الأجور .

وعلى أية حال يجب أن نضع نصب أعيننا أن أجور العمال الحالية لا تصلح أساسا للحياة ، وعلينا أن نؤمن بأن الطبقة العاملة ومن تعول من الأطفال والزوجات تساوى ثلاثة أرباع الشعب .

وهذه الطبقة هى التى يؤذيها الفقر أشنع الإيذاء ويصيبها بالأمراض الصحية والاجتماعية ، ونحن نهتم بالإصلاح الإجتماعى الشامل ، وعلى أساس الأجور يقوم هذا الإصلاح أو يتحطم من أساسه ، وتضيع جميع الجهود المبذولة ، ويصبح مشروع المراكز الاجتماعية ، ومشروع تحسين صحة القروية وسواهما من المشروعات حبرا على ورق ، ونصوصا خلابة لها بريق السراب وليس لها رى الشراب !

* * *

ونخلص من هذا إلى الكلام عن قانونى التأمين الإجبارى ضد إصابات العمل ، وضد المرض والشيخوخة ، وهما حلقتان هامتان من سلسلة التشريع العمالى ، فالعامل المصرى بسبب قلة الأجور أولا ، وبسبب الجهل وعدم التعود على الادخار ثانيا هو أكثر العمال فى العالم تعرضا لعواقب إصابة العمل أو المرض أو الشيخوخة . وهى عواقب قاسية نرى ثمرتها فى أولئك العجزة المتسولين وفى أولئك الأطفال المشردين .

فمن هم الأولون ؟ إن معظمهم من أولئك العمال الذين أصيبوا فى أثناء العمل أو بسبب العمل ، أو عجزوا عن العمل ، ونالوا تعويضا تافها أو لم ينالوا تعويضا أصلا — بحسب الظروف — ثم أصبحوا بعد فترة طويلة أو قصيرة ولا مورد لهم ولا مدخر عندهم فخرجوا إلى الطرقات يتسولون ويعرضون على الأنظار عاهاتهم وإصاباتهم استدرارا للرحمة وإن كان عرض هذه العاهات كثيرا ما يسىء إليهم بالنفور الطبيعى الذى يثيره منظر القبح فى النفوس فتنفر وتشمئز وتبتعد عن طريق المشوهين !

ومن هم الآخرون ؟ إنهم أبناء أولئك العمال المرضى والعاجزين والمشوهين، أو الموتى من إجهاد العمل أو الإصابة . لم يجدوا لهم مرتزقا بعد عائليهم ، ولم يجدوا لهم مدخرا كذلك فهاموا على وجوههم فى الطرقات صغرا غبرا ناحلى الأجساد غائرى العيون. وهم بذرة المرض المعدى والجريمة القذرة ، وهم أعداء الإنسانية فى مستقبلهم جزاء ما أذاقتهم فى ماضيهم .

فقوانين التأمين الاجتماعى ضمان لهؤلاء وهؤلاء ، وستكفل حين تطبق تطبيقا صحيحا نقص نصف عدد المشوهين والمنسولين والمشردين ، الذين تنفق عليهم الأمة والدولة أو تنفقان بسببهم ألوفا كثيرة من الجنيهات فى الملاجئ والمحاكم والإصلاحيات .

ونحب أن ننبه إلى أن هناك قانونا لإصابات العمل صدر فى سنة ١٩٣٦ ، ولكن به عيوبا نرجو أن يتناولها القانون الجديد بالإصلاح .

وأول هذه العيوب إغفاله حالة الإصابة بسبب العمل ، فكثير من الإصابات لا ينشأ بغتة ولكنه يحدث من طبيعة العمل بطول المدة كصناعة كبس القطن التى ينشأ عنها السل أو الربو بحسب سن العامل . وصناعة بعض المعادن التى ينشأ عنها التسمم البطىء ، وصناعة التمريض فى مستشفيات الحميات وفى مستوصفات ومصحات الدرن التى تنشأ عنها العدوى .

فهذه الإصابات يغفلها قانون سنة ١٩٣٦ ولا يفرض عليها تعويضا وهى التى يتعرض لها العمال أكثر من تعرض الإصابات المباشرة . فيجب أن يؤمنوا منها، وأن يستبعد من القانون كل نص على حرمان العامل فى حالة نشوء الإصابة من إهماله ، فهذا النص يفتح الباب لأصحاب الأعمال لتأويله فى مصلحتهم ؛ ويكفى ضمانا لعدم الإهمال أن حياة العامل وصحته أغلى عليه وعلى أهله من كل تعويض !

على أن هذه الحالة قد يعالجها قانون التأمين ضد المرض ، ولكنه لا يعالجها علاجا ناجعا إلا إذا ضمن أجرا دائما طول مدة المرض مهما امتدت . ومع هذا فهو لا يفيد إلا العامل فى حالة حياته ، أما إدخال هذه الحالة تحت قانون التأمين ضد إصابة العمل فيستفيد منه من يعولهم ،لأن التعويض يسلم لهم حتى بعد وفاة العامل بسبب المرض الناشئ من العمل . وقد تضمن قانون عقد العمل صرف مكافأة لهم فى حالة الوفاة . ولكننا نطمع أن يستبدل المعاش الدائم بالمكافأة لأنه أضمن وأنفع .

ومن عيوب قانون سنة ١٩٣٦ ضآلة مبلغ التعويض إذ يحتسب على أساس أجر ٨٠٠ يوم فى حالة الوفاة و ١٠٠٠ يوم فى حالة العاهة المستديمة على ألا يزيد مجموعه فى الحالة الأولى على ٣٠٠ جنيه وفى الثانية على ٣٥٠ جنيها . وفضلا على تفاهة هذا التعويض ، فإن أداءه مرة واحدة يعرض من يعولهم العامل لإنفاقه فى فترة تطول أو تقصر ، ثم اللجوء إلى التسول

وما هو شر منه . والواجب أن ينص على صرف معاش دائم معقول حتى يرشد الأبناء وتتزوج البنات وتموت الزوجة أو تجد عائلا جديدا بالزواج .

وكذلك كان من عيوب القانون السالف تكليف العامل فى حالة الإصابة استخراج شهادة طبية قد تكلفه جنيهين وهو مبلغ معجز بالقياس إلى عامل ، فيجب أن ينص على استخراج هذه الشهادة الطبية بالمجان

أما قانون التأمين ضد المرض والشيخوخة فهو جديد فى مصر ، وهو كفيل بتأمين الطبقات العاملة بعد أن يقعدها المرض أو الشيخوخة عن العمل ، فلا تستسلم للمصير المحزن المخيف الذى كانت تستسلم له ، ولا يكون جزاؤها بعد الجهد والإنتاج هو الطرد والإهمال .

ويجب أن نراعى فى القسط الذى يؤديه العامل من أجر فى نظير التأمين ضد المرض أو الشيخوخة أن يكون صغيرا جدا ، فالأجور فى مصر منخفضة وستظل منخفضة ولو بلغ أجر العامل خمسة عشر قرشا كحد أدنى فينبغى أن يضطلع أصحاب الأعمال وخزانة الدولة بالقسط الأوفر من هذه التأمينات .

وعند ما نستعرض هذه الحالات ندرك أهمية قانون الاعتراف بالنقابات واتحاد النقابات فهذا القانون هو حجر الزاوية الحقيق فى جميع التشريعات والضمانات الأخرى . وقد تستطيع النقابة أن تساهم فى توفير ضمانات أخرى لا تضمنها هذه التشريعات ، كالتأمين ضد البطالة بمساعدة العامل فى أثناء تعطله عن العمل ، وإن كان هذا الأمر يقتضى تشريعا خاصا من الدولة . إذ أن حق العمل حق معترف به لكل فرد قادر عليه ، فاذا لم يجده مع رغبته فيه كان من حقه على الهيئة الاجتماعية أن يعيش لأنه غير مسئول — فى هذه الحالة — عن تعطله .

ولكن هذا القانون له تكاليف ، وهذه التكاليف إضافية لا تستطيعها الميزانية المصرية فى حالتها الراهنة فلا بد من ضرائب إضافية لمواجهتها بإحدى طريقتين : إما بصرف إعانات للعمال المتعطلين وإما بمشروعات إنشائية يستخدم فيها هؤلاء العمال على طريقة مشروع الإنعاش الذى قام به الرئيس روزفلت قبل الحرب ، وفى صورة مختصرة معدلة تناسب الاحوال المصرية .

* * *

ونحن حين نذكر هذه المقترحات يستهوينا الأمل النابع من حماسة وزير الشؤون الاجتماعية لمصالح العمال ، وننسى العراقيل والمعوقات التى لا بد سيقيمها أمامه وأمام الحكومة أصحاب الأعمال ، والتى سبق أن أقاموها كلما همت الدولة بإصدار مثل هذه القوانين . وليس أدل على ذلك من أن قانون الاعتراف بالنقابات ظل معطلا أربع دورات برلمانية .

كما أن الاعتراف بحرية إنشاء اتحاد النقابات لقى معارضة أشد من الاعتراف بالنقابات ذاتها ، وصور فى صورة العمل المهدد المخيف !

ولكننا شديدو الأمل فى هذه المرة ، فالتيار العالمى لإنصاف الطبقات العاملة بوجه خاص والطبقات الفقيرة بوجه عام ، وتأثر الرأى العام المصرى باتجاه هذا التيار ، سيكون كفيلا إن شاء الله بتغلب وجهة نظر الدولة والمصلحين الاجتماعيين على جميع العراقيل التى اعتاد أن يقيمها أصحاب الأعمال .

على أن التجارب العالمية فى محيط الصناعة برهنت بما فيه الكفاية على أن من مصلحة أصحاب الأعمال رفع المقدرة الشرائية للمستهلكين ومعظمهم من الطبقات العاملة ، ومما لا شك فيه أن هذه القوانين وبخاصة قانون الحد الأدنى للأجور وقانون ساعات العمل سيرفع هذه المقدرة ، فيعوض أصحاب الأعمال عن الجزء الذى يتكلفونه فى سبيل هذا التحسين الاجتماعى الإنسانى ، رواجا فى السلع وتقوية لحركة الشراء .

ولا يفوتنا قبل أن ننتهى من هذه الكلمة التنويه بأهمية إدخال الخدم ضمن العمال والاعتراف لهم بحق تكوين النقابات والجانب الاجتماعى هو الذى يهمنا من الأمر ، إذ نعتقد أن هذا سيلغى مكاتب التخديم التى لا تزيد فى حقيقتها على أن تكون مواخير مستورة أو أوكارا للصوصية . فالنقابة هى التى ستتولى إذن تقديم الخدم والتعاقد على الأجور وتضع بذلك حدا لتجارة الرقيق الأبيض فى مكاتب التخديم .

وأخيرا . . . فإن نجاح الدولة فى إقرار هذه القوانين سيكون نواة الإصلاح الاجتماعى الحقيقى ، وسيكون ولا ريب أبعد أثرا فى رفع المستوى الاجتماعى والصحى والاقتصادى من قانون التسويات العقارية وأمثاله من تلك القوانين التى لم ينتفع بها إلا ألوف معدودة من كبار الأغنياء !

لقد آن لهذه الأمة أن تعدل هذا الوضع المقلوب ، وأن تقيم الأمور على قواعدها لا على رءوسها فطالما مثلت فى جميع تصرفاتها قصة الحرم المقلوب ، على مسمع ومرأى من شعوب الأرض التى كانت تنظر لنا نظرة العجب ونحن نظنها نظرة الإعجاب ! ! !

الطفولة المشردة فى مصر

أهم وجه من وجوه الإصلاح الاجتماعى

بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعه

كتب الأستاذ بروس بلفن (Bruce Belvin) صاحب مجلة " الجمهورية الجديدة " الشهيرة مقالا فى شهر أبريل سنة ١٩٤٢ عن إهمال النوابغ الناشئين جاء فيه :

" هناك عقبة كأداء فى أن معظم الناس ، ولا سيما الأطفال والفتيان الناشئون، يعيشون فى أوساط و بيئات غير ملائمة لهم ، حتى لا نستطيع أن نتكهن بمقدراتهم ، وما قد يتاح لهم أو ما لا يتاح .

ونحن نعلم بالبحث العلمى أن هنالك ألوف العباقرة من الأحياء قد طمرهم الفقر والجهل والمرض فى مستنقعه ، فلم ولن تسنح لهم فرصة لإظهار كفايتهم ، وأول واجب علينا أن نرفع الأوحال والأوساخ والأنقاض التى غمرتهم وأغرقتهم وحرمتهم تمام النمو والازدهار، وهؤلاء الأحياء المغمورون المطمورون هم ثروتنا الراهنة و بضاعتنا الحاضرة ، وأى مجهود نبذله فى تحسين الحال غير مجد ولا مثمر ما لم ننقذهم ومثلنا فيه كمن يخت فى الظلام الحالك تمثالا جميلا فلا ينتفع به أحد " .

تأمل هذا الكلام ! فهل ترى هذا الرأى المسند إلى عالم غربى يختلف عما نادى به المرحوم مصطفى كامل فى مصر عن الطفولة الفقيرة والمشردة فى أول هذا القرن ، فى جريدتى اللواء " والعالم الإسلامى " وفى خطبه المتعددة وهو قوله بنصه :

" اعلموا أيها المصريون أن فى أكواخ الفقراء ، وفى الأزقة والحارات، وتحت أقدام الفقر والجهل والحاجة الملحة والأمراض المضنية نوابغ كثيرين لا تعوزهم إلا المعونة المادية والعناية الأدبية ليخرجوا من تحت الركام والأنقاض ؛ ليضيئوا العالم بمصابيح ذكائهم . . فاعملوا على إخراجهم وتهيئتهم ليعودوا عليكم وعلى البلاد والعالم بأعظم المنافع ".

ولكن من ذا الذى استمع لقوله أو نفذ نصيحته، أو عمل بوصيته التى كررها فى مقالات وخطب عدة ؟ إننا بعد موته باثنتين وثلاثين سنة، أى جيل كامل، ما نزال نبحث فى الطفولة المشردة ونؤلف الجمعيات ، ونقيم الحفلات لننقذها من مصابها ونستشهد فى الأخذ بناصر هؤلاء الضعفاء بأقوال علماء أوروبا وأمريكا !

لقد قام الانجليز بضروب من الإصلاح والرعاية فأسسوا الملاجئ الفخمة والدور الفسيحة وزودوها بالمال الكثير ، و بعناية العلماء لجمع شتات الطفولة المشردة، ومن أهم مؤسساتهم

"دار برناردو" التي ينفق عليها في العام مئات ألوف الجنيهات ، يجود بها المياسير والأغنياء بغير طبل ولا زمر ولا تهويش ولا تهريج في السر والخفاء. فان إدارة هذا الملجأ العظيم تنشر في أمهات الصحف ولا سيما جريدة التيمس إعلانا وجيزا هذا نصه : "بيت برناردو لرعاية الطفولة المشردة في حاجة إلى عشرين ألف جنيه" .

فلا تمضي أربع وعشرون ساعة حتى يغطي هـذا القدر من المـال بشيكات ضخمة يلح أصحابها على الإدارة أن تخفي أسماءهم، فانهم لا يطلبون شهرة ولا ثناء من الخلق ولا إعلانا عن أنفسهم، ولكنهم يريدون وجه الله! وهم يعلمون والجمهور يعلم أنما يدفعونه يصل حتما إلى أيد آمنة وذمم طاهرة وضمائر حية ، فلا تمتد اليه يد غير التي تنفقه فيما دفع لأجله ، وما سمع الناس قط ، ولا علموا، أن جمعية خيرية "الاسم" بددت أو اختلست ولا أمين صندوق سرق وهرب، والبحث جار عنه للقبض عليه وتقديمه للمحاكمة؛ ولا سمع ولا علم أن رئيس ملجأ أو دار للأطفال اغتنى عن طريق السلب والنهب، ولا مدير ملجأ تواطأ مع المتعهدين، ولا أطفالا ماتوا بالجملة بسبب الإهمال أو سوء العلاج .

ليس هذا وحسب ، بل إن "دار برناردو" وغيرها من دور البر بالأطفال يبعثون بهم بعد أن تشتد سواعدهم إلى كندا فيتعلمون صناعة أو زراعة وينسون الشقاء ، ويعودون إلى وطنهم الأصيل رجالا ذوي أخلاق وكفايات فيكونون ربحا عظيما للأمة . وإن شاءوا البقاء في كندا أقطعتهم الحكومة أرضا يزرعونها أو أسست لهم مصانع ينتجون فيها ما يعود على بلادهم بالخير العميم .

وإنك ترى رجالا أمثال فورد الأمريكي يؤسسون مستعمرات للأولاد يتربون فيها على العلم والعمل والرجولة دون أن يقيدوا بشرط أو تعهد ، حتى اذا كبروا وظهرت مواهبهم التحقوا بأعمال كبيرة مجدية . وقد تخرج عشرات الألوف من الشباب في تلك المستعمرات الكريمة . وأسسوا مدنا ومصانع ومزارع لهـا ثروتها ولها فوائدها العميقة . فأنقذ الله بهذه الوسائل هؤلاء الأطفال أنفسهم وأنقذ المجتمع من الشرور التي كانت لا بد واقعة لو استمروا في شقوتهم وتشردهم . ونجا الوطن من الإجرام الفظيع الذي يقترفه الطفل الجائع والمريض والخاذل والحاقد على الإنسانية والمملوء القلب بالحسد الاجتماعي والمنطوية نفسه على البغض والكراهية والكفر بالأديان بسبب ما شهده في نفسه . دع عنك ما أصابه من المجتمع من الأمراض المعدية وفساد الأخلاق والتدهور الاجتماعي .

كل هذه الأعمال الجليلة قامت بها الجماعات والأفراد في هدوء وسكون بلا تهليل ولا تهويش ، ولا حفلات تدور فيها الخمور والمخاصرة والتهتك والبذخ والتبذير باسم الطفولة

المشردة ثم تنظر حولك فترى عشرات ألوف الأطفال فى عاصمة كالقاهرة يفترشون التراب ويلتحفون الهواء فى الصيف والشتاء ويسيرون فى الطرق فى "هلاهيل" وبعضهم لا يجد ما يستر به عورته ومعظمهم لم يذق طعاما منذ أيام وإن ذاقه فما يعثر عليه فى القمامات والفضلات وأكوام الزبالة مما تعافه الحيوانات ومما يحمل سموما فتاكة وجراثيم قتالة، ثم تقرأ فى الصحف أن رصيد الجمعية الفلانية عشرات ألوف الجنيهات فى بنك كذا أو مصرف كيت راقدة راكدة على زعم صحة ما ينشر، فتسأل نفسك: ما فائدة إيداعها البنوك وبطون هؤلاء الذين جمعت باسمهم خاوية وأجسامهم ضامرة ذاوية وعقولهم من التعليم خالية؟ هل هو حلم أو حقيقة؟ وهل هذا خيال أم حيلة!

إن ما رأيته من أحوال هؤلاء الأطفال منذ ثلاثين عاما ما أزال أراه إلى الآن وقد زاد عددهم وانتشرت أوبئتهم وامتلأت بهم الميادين والشوارع والأزقة. ولا شك أن الذين رأيتهم منذ ثلاثين عاما وما زالوا على قيد الحياة قد ملأوا السجون وشغلوا المحاكم والشرطة بما اقترفوه — معذورين ومدفوعين — من الجنايات والجرائم.

أين هذا مما يبذلونه فى أمريكا لرعاية هؤلاء الأطفال وتنشئتهم؟

كتب كارل ديتزر فى مجلة مركورى إن عصابة تألفت فى الصيف الماضى من الأطفال وبدأوا يعيثون فى الأرض والحقول فسادا، فلم يرسل فى أثرهم رجال الشرطة، بل فتاة من البوليس النسائى خالطتهم وامتزجت بهم ودرستهم على مهل ثم أرضت كل طفل منهم بما كان يجول فى خاطره، ثم عرضت عليهم الالتحاق بمدرسة فأقبلوا عليها بسرور وفرح وقامت إدارة "البر المنظم" بنفقاتهم فاكتسبهم المجتمع باللين والرفق ولم يطارحوا فى إصلاحية الأحداث ليلقوا عذابا أو جلدا أو فساد أخلاق ويتلقوا دروس الإجرام فى ظل حكومة غربية منورة ولم يحدث قبض ولا سجن ولا محاكمة ولا صحيفة سوابق ولا انتقام اجتماعى من السلطة الحاكمة.

وسارت فتاة الشرطة ويسمونها ladies of the law فى حى سيئ الشهرة فرأت سربا من الكسالى "والنابلة" يتفرجون على طفل يلعب على الكنجة، ليرقص كلبا على الإفريز فأخذت الطفل والكلب إلى إدارة البروسيل الطفل وعمره تسع سنوات عن سبب وقفه وترقيص الكلب. فأجاب بأنه إنما يفعل هذا ليعول أمه ورجلا اسمه "العم جيم" يعاشرها، وأن العم جيم هذا يضربه إذا لم يعد إلى الدار بمبلغ معين من المال. فأخذت الفتاة الطفل والكلب ليدلها على بيت أمه والعم جيم، وقد تبعها ضابط المباحث فى سيارة فلما وقفت بباب المرأة عرض عليها الضابط معونته ولكنه لم يتدخل ولم يظهر نفسه. وإن كان أخى

سكر ظاهر فأظهرا العداء والمقاومة "لفتاة الشرطة" ولكنها لا يتهما حتى خضعا لأمرها .

و إذا فر طفل من بيت أهله أو طرده أقاربه فأن الفتاة المختصة تبحث عنه حتى تهتدى اليه و تتحص حالته ثم ترده أو تنقله إلى ملجأ يصلح من شأنه و يعيده إلى المجتمع رجلا أو امرأة صالحين للحياة .

وفى أحد المساكن وجدت فتاة الشرطة ثلاثة أطفال تركهم والداهم ليذهبا إلى الصور المتحركة وأثناء وحدة الأطفال بتر أحدهم وعمره ثلاث سنوات أصبعين من أصابع قدمه بسقوط مرآة مكسورة عليها فنقلته الفتاة الى المستشفى وأسعفته بعملية جراحية سريعة، وقد أظهر تحقيق هذه الحالة أن الوالدين مدمنان على الخمر ولا يصلحان لتربية الأطفال. فسقطت حقوق حضانتهما ونقل الأطفال إلى حيث يعنى بهم .

وفى الساعة العاشرة ليلا وجدت فى حانة طفلة لا تتجاوز الرابعة عشرة،وتزعم أنها بنت ٢١ عاما (أى بالغة رشدها) تجالس وتعاقر رجلا فى الأربعين، ففحصت فتاة البوليس يديها (لتعرف سنها بالتقريب) ثم أخرجتها من الحانة وحققت معها فظهر أن سنها ١٤ سنة وأن الرجل ابن أربعين وأنه متزوج، وقد عاشت الفتاة والرجل عيشة الزوجين قبل ذلك ، فنقلت الفتاة إلى الملجأ والمستشفى وزج الرجل فى أعماق السجن ليلق عقابه .

و يوجد فى الحدائق العامة أطفال نائمون جائعون و بعضهم عرضة لهجوم جناة الأخلاق، فينقذ الأطفال و ينظر فى شؤونهم بحيث لا يعودون إلى ما كانوا فيه من الضلال أو الشقاء.

و إذن نحن نرى فى عواصم الغرب بعض آثار الشقاء ولكنا نجد العلاج القوى المناسب فى زمانه ومكانه تتولاه عقول رشيدة ونفوس كريمة وأياد ناعمة .

فهل فكر أولياء الأمور فى مصر فى وضع نظام مماثل وهو لا يحتاج الى تشريع خاص ولكن يحتاج إلى حسن تطبيق القوانين واختيار القادرين على هذا الإنقاذ الشريف الجميل. إن الوقاية خير من العلاج ونحن لا نعرف الوقاية ونسيء استعمال العلاج دائما .

لقد كتب أحد مشاهير الأدباء يصف منظرا داميا فاجعا من مناظر الطفولة المشردة على عتبة وقد نام الأخ وأخته يفترشان التراب والأرض الباردة ويلتحفان جوا شديد الرطوبة ، فكان الطفل ملتفا فى ثوبه الممزق كأنه بدن ممزق قد بترت أعضاؤه وتراكمت ومال رأسه على وجهه ، أما البنت فكانت من الضعف والتداعى والنحافة بحيث تبدو ... حقيقة ، وخيالا لا مثالا ، وهى تنام كأنها ميتة ، لا نوم الراحة

بعد التعب ، ولا نومة المرض بعد الصحة ، ولا التفاهة بعد المرض ؛ بل نومة القنوط القاتل ، فاذا تأمل العابر هذين الجسدين وهذين الوجهين فذكر أن الأول مخلوق ليكون رجلا يكافح فى الحياة ويجاهد ويجالد فى سبيل الوطن وله قلب يؤمن بالله وعقل يعى المعلومات وفؤاد يفقه الخير والشر ونفس ملآنة بالعواطف والآمال ، وأن الثانية شابة جعلت لتكون شابة وامرأة وزوجة وأما تحمل وتلد وترضع وتربى رجالا ونساء للانسانية وللأقدار ، أدركت العابر عبرة ، ثم رهبة ، وغمره انفعال شديد وتفكير طويل ، فإن كان هذا نصيبهما فى طفولتهما فماذا أعدت لهما الحياة فى مراهقتهما ونموهما .

وقد رأيت فى ميدان باب الحديد فى حديقة مستديرة هناك ، صارت الآن مخبأ ، طفلا جميلا باهر الجمال ممزق الثياب قذر اليدين والرجلين نائما فى بهرة النور فوقفت أتأمله وأسأل نفسى : لم اختار النور الباهر ينصب على عينيه فيزعج نومه ؟ فقال لى رجل : إنهم يختارون النوم فى النور لئلا يعتدى عليهم أحد من "أولاد الحرام" لو ناموا فى الظلام الحالك فسألته : واذا أطفئت الأنوار ؟ قال : يشرق عليهم ضوء القمر !

وانجلتاه لو أشرق القمر على هذه الوجوه والأجسام ، وقد كان القمر فى ذهنى دائما قرين الجمال والسعادة والمناجاة والحلوة الهنيئة ، أما الآن فقد صار فى نظرى مطلعا على مخزيات الإنسان وفضائحه ، ولو كان القمر مأهولا بساكنيه ورأى أحدهم هذه الصورة الفاجعة فماذا يقول سكان القمر عن الأرض ؟ أنهم يسمونها جهنم !

* * *

هذه صورة لا نصيب للأخيلة فيها ، ولا فضل للفن على أسطرها ، ولا دخل لبراعة الوصف فى حقيقتها ، بل هى صورة من الحقيقة التى أراها متكررة ويراها كل من يجوس خلال الطرق وله قلب وشعور وله عاطفة إشفاق على فريق من أبناء هذه الأمة ، وهذه الصورة تنادى : البدار ! البدار قبل أن تفر الفرصة ويضيع الرجاء .

محمد لطفى جمعة

مشروع تحسين الصحة القروية

أهم مشروعات الدولة فى هذا العام

وافق مجلس الوزراء على مشروع تحسين الصحة القروية الذى قدمه حضرة صاحب المعالى عبد الواحد الوكيل بك وزير الصحة . وهو مشروع يفخر كل وزير أن يقرن اسمه اليه . وعبد الواحد الوكيل بك هو صاحب فكرة الوحدات الصحية الذى قامت على أساسها مع التوسع فيه فكرة المراكز الاجتماعية ، فليس الرجل مبتدئا فى الاهتمام بشؤون الريف ، وليس جديدا على مثل هذه المشروعات .

والمشروع الجديد فوق أنه أعظم مشروع عملى لتحسين الصحة القروية عرض حتى اليوم يعالج فى الوقت ذاته مشكلة " المركزية " التى تشكو منها الأداة الحكومية و يشكو منها الشعب فى آن واحد ؛ فهو يعهد بالتنفيذ الى البرلمانات الصغيرة فى كل مديرية ، و يجعل لوزارة الصحة الإشراف والإرشاد ، و يقصر مهمة الدولة على تمويل المشروع .

وقد عنينا أن ننص على أن هذا المشروع عملى ، تمييزا له من مشروعات أخرى كثيرة اقترحت من قبل لإصلاح الريف المصرى ، ولكنها كانت أشبه بالأمنيات الجميلة منها بالمشروعات الواقعية ؛ وليست قصة القرى النموذجية إلا واحدة من قصص كثيرة فى الموضوع !

والمادة الأولى من المشروع تبين نظام العمل وعلاقة مجالس المديريات بالسلطة المركزية وهى :

" بمجرد صدور القانون يجب على كل مجلس مديرية أن ينشىء إدارة صحية وأخرى هندسية أو يدعم الموجود عنده منها للعمل على ترقية المستوى الصحى العام فى القرى الواقعة فى زمام المديرية على أن يوافق وزيرا الداخلية والصحة العمومية على عدد ومؤهلات ودرجات موظفى هاتين الإدارتين .

وعلى وزارة الصحة أن تنشىء مصلحة صحية قروية خاصة للاتصال بتلك الإدارات وتوجيهها ومراجعة مشروعاتها ومراقبة أعمالها من الوجهة الفنية كما يجب على تلك الوزارة مساعدة مجالس المديريات فى الحصول على الموظفين الفنيين الصالحين لتلك الإدارات وعلى

ومن شأن هذا التنظيم الذي نقترحه أن ... المديرية إنشاء ... التي ينتظمها ... في تنفيذ
المشروع ،وأن يجعل فى وزارة الصحة هيئة مختصة كذلك بمساعدة المجالس و إرشادها الإرشاد الفنى الذى لابد هى محتاجة اليه . وكل مانرجوه ألا تطغى العقلية القديمة — عقلية المركزية — فى وزارتى الداخلية والصحة على المجالس فتشل سلطتها بحجة أن القانون يحتم الموافقة على " عدد ومؤهلات ودرجات موظفى الادارتين الصحية والهندسية " وبحجة أن مصلحة الصحة القروية لها حق "الإشراف والمراجعة والمراقبة من الوجهة الفنية" فالأداة الحكومية بطيئة الحركة وينبغى ألا تتدخل فى أعمال الهيئات المحلية إلا فى أضيق الحدود .

وترسم المادة الثانية برنامج العمل وطريقته ونصها كالآتى :

" يجب على كل مجلس مديرية تكليف ادارتيه الصحية والهندسية مشتركتين بالشروع فورا فى فحص جميع القرى الواقعة فى زمام المديرية واحدة واحدة فحصا شاملا لاكتشاف العيوب الصحية الموجودة بكل منها ووضع البرنامج والميزانية اللازمين لملافاة تلك العيوب تطبيقا لمواد هذا القانون والقوانين واللوائح الصحية السارية الأخرى وطبقا لما تشير به وزارة الصحه العمومية .

" ويجب أن يتم الفحص الأول فى مدى عام على الأكثر لجميع القرى ثم يفتش على كل قرية بصفة منتظمة فى فترات متقاربة لاكتشاف أية عيوب أخرى والعمل على ملافاتها ".

وخير ما فى هذه المادة النص على أن الفحص الأول للقرى يجب أن يتم فى مدى عام على الأكثر . ولكن هذا الشرط لا يتم على الوجه الأكمل إلا إذا كان مندوبو الهيئتين اللتين تتوليان الفحص سيقيمون فى القرى فعلا إقامة دائمة على مثال موظفى المراكز الاجتماعية . فالحياة فى الريف ودرس حالته عن كثب ، والابتلاء بما فيه من عيوب ، وممارستها ممارسة عملية ، هى الوسيلة الوحيدة للفحص الصحيح ؛ أما التقارير التى تكتب فى جو المدن وفى المكاتب النظيفة ذات المراوح الكهربائية فلا تعدو أن تعنى بمطالب الترف وتغفل عن الضروريات الأولية التى يحتاج إليها الريف ، كما تغفل عن التقدير الصحيح للممكن وغير الممكن فى هذه البيئة الفقيرة المحرومة من كل شىء .

وكثيرا ما قرأنا فى الإرشادات الصحية للريفيين عجائب وغرائب مما تتفتق به أذهان الموظفين المقيمين فى رغد المدن بعيدين عن بيئة الريف المحرومة ، ولو أن مصدرى هذه الإرشادات والتعليمات كتبوها على مصاطب هذا الريف بعد دراسة قريبة لنوع الحياة ومستواها هناك لجاءت شيئا آخر غير هذه الإرشادات المترفة . وهل أدل على ذلك من أن تحتم هذه الإرشادات على الفلاحين أن يحلبوا اللبن فى أوان معقمة بالماء المغلى والصودا بعد

مثل مسرح الحيوان الحلوب بمكان معين لذلك وتهيئته أدوات معقمة نظيفة على أن يلبس الحالب ثوبا نظيفا خاصا بالحليب! فى الوقت الذى لا يوجد لدى هؤلاء الريفيين ماء صاف (ودعك من التعقيم) ولا توجد فوط نظيفة لعيونهم ولا يملكون ملابس نظيفة لحياتهم كانها لا تحفظة الحليب !

مثل هذه الإرشادات والاقتراحات الخيالية التى أفردت لها مقالا خاصا فى أحد أعداد هذه المجلة الماضية هى التى يجب أن يتجنبها المندوبون للفحص عن عيوب الريف ووضع الاقتراحات اللازمة لعلاجها. وقبل أن يفكروا فى وضع اقتراح يجب أن ينظروا إن كانت البيئة والظروف تسمح بتنفيذه أو لا تسمح، فالريف لا ينقصه الأمل والخيال ، ولكن تنقصه المقدرة والمال .

وتبين المادة الثالثة من المشروع الخدمات الصحية التى يشملها وتخص بالذكر الأمور الآتية :

١ — تدبير المياه الصالحة للشرب والأغراض الأخرى وذلك بإنشاء عمليات ماء صغيرة حيثما كان ذلك ممكنا أو إمداد القرى القريبة من المدن بماء منها أو تحسين وحماية موارد المياه الموجودة لحين تدبير مورد عمومى آخر .

٢ — ردم أو صرف البرك أو المستنقعات وأية مياه راكدة داخل القرية وفى دائرة نصف قطرها خمسمائة متر حول حدود القرية .

٣ — نظافة القرية بما فى ذلك إزالة أكوام السباخ وروث البهائم والقاذورات الأخرى من مساكنها وطرقاتها ومجاوراتها واختيار مكان مناسب لحفظها أو التصرف فيها بعيدا عن القرية .

٤ — إصلاح وتوسيع دورات مياه المساجد وإنشاء حمامات عمومية صحية بها للرجال.

٥ — إنشاء حمامات للتلاميذ فى المكاتب العامة والمدارس الأولية والإلزامية القروية.

٦ — إنشاء مغاسل ثياب وحمامات صحية منفصلة للنساء والأطفال .

٧ — إنشاء سويقات للأغذية ومذابح لحوم قروية .

٨ — وضع خريطة تنظيم لكل قرية تضمن امتدادها على الأصول الصحية فى المستقبل وتشمل تحسين شوارعها وميادينها القديمة بقدر المستطاع .

٩ — المساعدة فى إدخال ما يمكن من التحسينات على منازل القرية الحالية ويشمل ذلك بقدر الامكان تحسين التهوية ومنع الازدحام وإيواء الحيوانات فى غير غرف الاقامة وتشجيع إيجاد المراحيض القروية البسيطة فى المنازل .

١٠ — إيجاد الخدمات الآتية لكل مجموعة متقاربة من القرى تبلغ جملة سكانها خمسة عشر ألفا أو أقل حسب مقتضيات الظروف المحلية وهى :

(ا) دارلرعاية الأمومة والطفولة تشمل حمامات عمومية للنساء والأطفال ومغاسل ثياب ويتولى العمل فيها مولدة ممرنة ذات مؤهلات جيدة ، وتكلف كذلك بالدعاية الصحية بين النساء والأطفال والإشراف الصحى على التلاميذ وعلى نظافة المساكن وحمامات النساء ومغاسل الثياب .

(ب) عيادة طبية مجانية وخدمة صحية للقرى وسكانها وتلاميذها يتولاها طبيب ممرن على الشؤون الصحية القروية وعلى طرق تشخيص وعلاج ومنع الأمراض الأكثر انتشارا فى القرى وخاصة الأمراض المتوطنة والأرمادو أمراض الجلد والأمراض الوبائية وأمراض سوء التغذية ويتولى كذلك الدعاية الصحية بين الرجال .

وقد نص المشروع على أن يقيم الطبيب والمولدة فى مقر عملهما بالقرى .

ومما من شك أن لهذه الخدمات التى يكفلها المشروع قيمتها الكبرى فى تحسين الحالة الصحية بالقرية وبخاصة توفير المياه الصالحة للشرب وتشجيع إنشاء المراحيض القروية . وكل من عاش فى الريف المصرى يدرك أزمة المياه الصالحة كما يدرك القذارة الناشئة من طريقة التبرز والتبول فى القرية مما ينشر المرض ويؤذى الحواس ويخدش الذوق الانسانى .

وكذلك لا يقلل أحد من قيمة المنشآت الصحية والخدمات الطبية التى تقوم بها وتوفير مشقة الانتقال ونفقاته على الريفيين الفقراء ونشر الوسائل الصحية بينهم عن طريق الطبيب والمولدة .

ولكن يلاحظ أن المشروع يكتفى بالناحية الصحية ولا يتدخل فى الناحية الغذائية إلا باشارة عابرة وهى منع أمراض التغذية ، ولا ندرى كيف يستطيع الطبيب دفع هذا النوع من الأمراض إلا بتدبيرات وقائية عمادها تحسين التغذية بين الريفيين . وهذه الأمراض كثيرة منها الجلدية والرمدية والباطنية . والعلاج فيها بالعقاقير لا ينتج نتيجة ، وكذلك العلاج بالدعاية ، فالريفيون لا تنقصهم الرغبة فى تناول الأغذية التى تحفظ عليهم صحتهم ، ولكن تنقصهم المقدرة على توفير هذه الأغذية .

ومسألة تحسين التغذية بين الريفيين الفقراء مسألة ضخمة لا نعنى أن نكلف بها وزارة الصحة وحدها . ولكننا نذكرها بمناسبة هذا المشروع الذى نرى أنه يستطيع مضاعفة آثاره الصالحة لو ضمن الى جانب هذه الاجراءات شيئا من التغذية الجيدة لهذه الملايين التى يرصد

والمسألة على العموم تتعلق بدخل العمال الزراعيين ، وهو دخل لا يمكن أن يكفل لهم هذا الغذاء الواقى . وهنا تنتهى مهمة وزارة الصحة لتبدأ مهمة الدولة التى يجب أن تكفل لهذه الملايين مجرد غذائها الذى هو حق طبيعى لكل آدمى ، كما هو حق واقعى لكل حيوان فى الريف .

إلا أن هذا لا يمنع أن تتعاون وزارة الصحة ووزارة الشؤون الاجتماعية — بمناسبة وجود هذا المشروع ووحداته فى الريف — على إمداد رواد هذه المنشآت الصحية بوجبة غذاء أو بعض وجبة فى اليوم فان كوبا من اللبن أو شيئا من الفاكهة يتناوله كل ورد فقير فى اليوم كفيل بتحسين صحته وتوفير جزء من نفقات العلاج التى يتكلفها المشروع .

وعلى أية حال فهى مسألة قابلة للتفكير وللتنفيذ ، ونتائجها المؤكدة كفيلة بوضعها موضع الاهتمام . وفى مقال آخر بهذا العدد تحدثت بتوسع عن غذاء الطبقات العاملة .

* * *

أما ناحية تمويل المشروع فقد حلت بتخصيص الإيرادات الآتية :

(١) ٥ فى المائة على الأقل من إيرادات الدولة تخصص سنويا لهذا الغرض وتوزعها وزارة الصحة العمومية على مجالس المديريات بنسبة عدد سكان كل مديرية فى آخر تعداد كل عام .

(٢) ٢٠ فى المائة على الأقل من إيرادات مجالس المديريات .

(٣) ما قد تحصل عليه مجالس المديريات من بيع أو استغلال الأراضى الحكومية الفضاء والبرك الحكومية فى القرى بعد ردمها أو تجفيفها طبقا لمواد هذا القانون .

(٤) ما قد يتبرع به الأغنياء أو جهات الخير أو الأفراد عامة أو الجمعيات التعاونية وما قد يجمع من أى مورد آخر لهذا الغرض .

ونصيب هذا المشروع من الميزانية العامة حوالى مليونين ونصف مليون من الجنيهات كما أن نصيبه من الموارد الأخرى قد يكون نصف مليون آخر والمجموع لا بأس به ، فهو يصلح حدا أدنى لما ينبغى أن تنفقه الدولة فى مثل هذا الغرض وإن كنا نطلب المزيد حتى يرتفع المبلغ الى خمسة ملايين فى كل عام .

وهنا تخطر على الذهن فكرة أخرى ، وهى أن الميزانية مثقلة فى هذا العام وربما فى أعوام تالية لا يعلم عددها إلا الله بتكاليف استثنائية ، قد تصل الى خمسة ملايين من الجنيهات فى عملية ضمان التغذية لسكان المملكة وهى كذلك مهددة بنقص فى الإيرادات قد يصل الى مثل هذا المبلغ وإن كان المرجو ألا يقع هذا على مدار السنة فيما يختص بإيرادات الجمارك .

وجميع بلاد الدنيا تلجأ فى مثل هذه الأحوال الى الضرائب الإضافية على الإيرادات العالية والأرباح الاستثنائية وهذا باب من أبواب الإيراد لا يزال فى مصر بكرا ، وظروف الحرب الحالية تجعله ممكنا بدون تأثير فى الموقف الاقتصادى لرءوس الأموال المستثمرة فى الصناعة

ـت الذى ينبغى أن نفرض ضريبة إضافية متصاعدة على بعض فئات الدخل تخصصها لهـذا المشروع وللخدمات الاجتماعية الأخرى التى لابد من القيام بها وفى مقدمتها تحسين غذاء الطبقات العاملة فى المدن والريف ، هـذا التحسين الذى لا تتم بدونه فائدة هذا المشروع وأمثاله .

وثمة مورد آخر لجأت اليه أمم أخرى كانجلترا وأمريكا ، وهو وضع حد أقصى للدخل وجباية ما فوقه من الدخول العالية وهو فى أمريكا حوالى ٦٢٠٠ جنيه وفى انجلترا حوالى ١,٠٠٠ جنيه فى العام ، فهل يجوز أن تكون أرقام الدخل فى مصر الفقيرة أعلى بمراحل منها فى انجلترا الامبراطورية وفى الولايات المتحدة بلاد الذهب.

إن الضرائب الإضافية و إن تحديد الدخل فى مثل هـذه الظروف لها إجراءان عادلان لا ينقصنا للأخذ بهما إلا الشجاعة الكافية لمواجهة نفوذ رأس المـال ، ولا مفر للدولة حين تريد المضى فى مشروعاتها الصحية والاجتماعية من الأخذ بهما عاجلا أو آجلا .

حقيقة إن الدولة لا يصح أن تغلو فى فرض الضرائب ولا أن تجعل همها تعمير خزائنها على حساب خزائن الشعب ، ولا يجوز أن تحصل قرشا واحدا أكثر من حاجتها ، وفى هذه الحدود — دون تعديها — نشير بالضرائب الإضافية وبتحصيل فائض الإيرادات ، فالميزانية قدمت حقيقة متوازنة ولكن توازنها ناشئ من إرجاء المشروعات الصحية والاجتماعية الضرورية لنهضة المملكة وللعناية بالطبقات الفقيرة وهى تبلغ نحو اثنى عشر مليونا من السكان.

ومثل واحد نذكره : وهو أن هذه الميزانية حين قدمت متوازنة لم تكن قد حسبت حساب هذا المشروع الذى تقدم به بعد ذلك معالى وزير الصحة الجديد، وليس هذا المشروع وحده هو المشروع المطلوب لعـلاج حالات الطبقات الفقيرة ، بل إن هذا المشروع نفسه ليس كاملا كما بينا لأنه لم يتعرض للناحية الغذائية بوصفها من أسس العلاج الصحى، ولعله لم يتعرض لها إشفاقا من تكاليفها المبهظة .

فجباية ضرائب جديدة على بعض فئات الدخل ليست تحصيلا لمـال لا حاجة للخزانة به ، ولا تريده هذه الخزانة لمسائل كمالية ، بل إن هذه الخدمات الصحية والاجتماعية فى مقدمة ما تعنى به الأمم حتى فى أحوال الحرب الحاضرة .

ومن هنا نحن نلح فى الأخذ بما أخذت به شعوب الأرض جميعا ، ويكفى فى بيان أحقية ما نشير به أن ننظر فنجد بعض المولين المصريين يحصلون على دخل يساوى أضعاف ما يحصل عليه الآن ملوك المـال والصناعة فى أوربا ، وهو وضع شاذ بين الأوضاع العالمية، مع حاجة الدولة المـاسة للاصلاح الصحى والاجتماعى ، هذا الإصلاح الذى لا تنقصنا الرغبة فى النهوض به ولكن ينقصنا المـال !

وبهذه المناسبة نذكر إخواننا بالمبدأ الذى تضمنته المادة الرابعة عشرة من هذا المشروع العظيم وهذا نصها :

" يجب على كل مجلس مديرية تكليف إدارتيه الصحية والهندسية بمعاينة العزب الواقعة فى زمام المديرية أسوة بالقرى . وذلك لاكتشاف عيوبها من الوجهة الصحية العامة ، ويعلن مالكها أو ملاكها بتنفيذ التحسينات اللازمة لها على نفقتهم فى موعد مناسب بعد موافقة وزارة الصحة . فاذا لم تنفذ فعلى مجلس المديرية تحصيل ضريبة إضافية لا يزيد مقدارها على ١٥ فى المائة من ضرائب أطيان مالك العزبة أو ملاكها للصرف منها على التحسينات اللازمة لها بمعرفة المجلس .

وهذا عدل خالص ، فقد طالما نادى الكتاب الاجتماعيون ونادت هيئات الخدمة الاجتماعية ملاك العزب أن يقوموا بأبسط الخدمات الصحية لعمالهم وبتعبير آخر لجامعى المال لخزائنهم ، فلم يستمعوا لهذه الصيحات لأن العقلية القديمة عقلية السادة والعبيد لا تزال تسيطر على علاقتهم بفلاحيهم !

فالآن تعرض الدولة سلطانها عليهم وتلزمهم أن يقوموا بهذه الاصلاحات كما يقومون بكل ما تتطلبه الأرض من الإصلاحات ! ، وإذا كان لنا ما نرجوه فهو أن ينفذ القانون تنفيذا حازما صارما وألا يقف نفوذ بعض أصحاب العزب أمام هذا العدل الخالص الذى شرعه الدولة الآن وكان ينبغى أن يشرع قبل ذلك بأزمان !

وقبل أن نختم هذا المقال نحب أن ننوه بإجراء عملى تضمنته المادة التاسعة من هذا المشروع وهو : أن تشمل مشروعات الإصلاح إعطاء سلف صغيرة دون فائدة تسدد على آجال معقولة لصغار القرويين لتحسين مساكنهم من الوجهة الصحية كزيادة حجرة أو أكثر لمنع الازدحام أو تحسين الضوء الطبيعى والتهوية فى الغرف أو دهان الحيطان بالجير أو إنشاء مراحيض قروى صحى أو زريبة صحية أو ما أشبه ذلك .

فالحقيقة الراهنة أن تكليف الفلاح القيام بأى من هذه الأعمال دون معاونة مادية تكليف ثقيل أو مستحيل . وياحبذا لو كانت هذه السلف الصغيرة منحة فى بعض الحالات التى لا يرجى معها أن يستطيع القروى الفقير ردها ، إذن لاستطاع الكثيرون أن ينتفعوا حقيقة بالتحسينات الصحية المعقولة .

وهذه أمنية من الأمانى الجميلة ، ولكنها ليست مع ذلك مستحيلة ، إذا تشجعت الدولة وجعلت لها فى دول أوربا وأمريكا أسوة ، وفرضت من الضرائب على القادرين بعض مايكفل حقوق العاجزين .

انت وحدك

تستطيع أن تقوم بعمل عظيم

بقلم الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى

كانت الطبقات الفقيرة فى مدن أوربا وأمريكا تتكدس وتتراكم فى مساكن ضيقة الأرجاء محتبسة الهواء تغمرها الظلمة فى رابعة النهار . وكان الناس جميعا يرون أن هذه المحابس تصيب أجسام ساكنيها بالمرض والهزال ، وتنال أخلاقهم بالسوء والأذى ، فكانوا يزمون شفاههم و يقلبون أكفهم ألما وأسى ، ثم يسأل بعضهم بعضا : وماذا نستطيع أن نفعل ؟

ولكن إحدى نساء لندن الفقيرات ، هى أوكتافيا هيل ، رأت أنه لايكفى أن تلقى هذا السؤال ، بل عليها أن تجد له الجواب . وكان جوابها أن افترضت مالا استأجرت به ثلاثة منازل صالحة ، ثم أجرتها لجماعة من فقيرات النساء ، وأخذت تعلمهن خياطة الملابس ، ليكسبن من هذه المهنة ما يمكنهن من دفع إيجار مساكنهن ...

فالمرأة الفقيرة التى كانت تنزوى مع ثلاث أو أربع فقيرات أخريات ، فى غرفة ليست فيها كوة واحدة ينفذ منها ضوء النهار أو ينصرف منها الهواء المسمم ، ولا تكاد تجد مع هذا من القوت ما يحفظ عليها رمق الحياة ، بله أن يمى فيها الصحة والعافية والنشاط ، وتتعرض بسبب هـذا كله لألوان شتى من الرذائل والآثام — هـذه المرأة صارت تسكن بمفردها فى غرفة نظيفة أنيقة ، تلائم الصحة وتبث النشاط ، وصارت تمارس عملا منتجا يمكنها من أن تجد مع المسكن الصالح غذاء وافيا ولباسا وافيا ، وشيئا من متاع الحياة يهون عليها مشاقها وأعباءها ، ويصرفها عن كثير من الجوانب المظلمة المرذولة .

و بينما ظل أهل المدن الأخرى يتساءلون : "وماذا نستطيع أن نفعل لهؤلاء الفقراء الذين يتراكمون ، كأكوام اللحم ، فى محابس تعيث فيها جراثيم المرض و جراثيم الرذيلة" ؟ كانت أوكتافيا هيل قد أعدت عشرات المنازل الجميلة وآوت فيها مئات الأسر الفقيرة ، وأخذت تقيم فى كل بيت ملعبا للأطفال يلهون فيه و يمرحون ، بينما أمهاتهم مكبات على حياكة الملابس التى توفر لهن ولأولادهن أسبابا من الحياة الطيبة .

وترامت أنباء منازل أوكتافيا هيل إلى سائر الأنحاء ، وسمع أصحاب البيوت أن مساكنها لاتخلو لشدة إقبال الناس عليها ، فراحو يهدمون أبنيتهم الخربة المتداعية و يقيمون مكانها بيوتا حديثة فسيحة ، يغمرها الضوء و يتجدد فيها الهواء ، وتبث فى أهلها شعور الراحة والبهجة والاستقرار .

وكان هذا العمل هو الخطوة الأولى فى سبيل إنشاء مساكن نموذجية للطبقات الفقيرة،
فقد رأت الحكومات المتمدنة أن البيت الصحى النظيف يبث فى أهله الجد والنشاط ويبعث فيهم الرضى والطمأنينة، فأخذت تهدم ما فى المدن من الأحياء الفقيرة التى كان يقبع فيها الفقراء معرضين للأمراض والأوبئة تفتك بأجسامهم، مستعبدين للرذائل والخبائث تعصف بأخلاقهم.

وهكذا شقت هذه المرأة الفقيرة بمفردها ، منذ ثلاثة أرباع قرن ، طريقا تتسابق فيه اليوم الحكومات الحديثة التى ترى أن "البيت" أحد المرافق العامة التى تؤثر تأثيرا مباشرا فى قوة الدولة ، فتوليه شطرا كبيرا من ميزانيتها ومن جهودها .

* *

نشأت فلورنس نايتنجيل فى أسرة ثرية رفيعة ، ودرجت فى حياة حافلة بالرفه والنعمى، فكان نجمها يتألق فى الحفلات والمنتديات العليا ، وظهرت فى حفلات القصر الملكى، وهذا أقصى ما تطمع إليه فتيات الطبقة الرفيعة فى انجلترا .

ولكنها كانت تشعر فى قرارة قلبها أن عليها عملا أفضل من هذا وأسمى ، عملا أهم من الوقوف أمام المرايا ، والتجول بين المتاجر ، واستقبال الضيوف وزيارة الأصدقاء، والتفنن فى الظهور فى الحفلات الساهرات الراقصات — فكانت تقول وهى فى سن باكرة : " إن ذهنى يطالبنى بأن أقنعه وأرضيه ، ولن أقنع طبيعتى الطامحة بالزواج ولا بالصداقة ، ربى ! ماذا يرضينى ، وما هو مصيرى ؟ " .

وبينما كانت كل فتاة مثلها تفكر ليلها ونهارها فى علاقات الصداقة والهوى، فتسرف فى زيها وزينتها ولو أرهقت أبويها عسرا، وتتأنق فى حديثها حتى يخرج ألفاظا مقطعة متراخية لاتحسن نطقها، وتستقبل كل يوم صفا طويلا من الضيوف، وتمر كل يوم بصف طويل من المتاجر، ساعية بهذا كله إلى "اقتناص" زوج أو صديق — بينما كان هذا شأن كل فتاة كانت فلورنس تتوسل إلى أبيها وأمها أن يسمحا لها بدراسة فن التمريض، لتعمل ممرضة فى إحدى المستشفيات.

كان هذا حدثا فى المجتمع الانجليزى! فتاة من أرق الأسر حسبا وأوفرها مالا ، وهى على حظ عظيم من الجمال والأناقة والذكاء ، تريد أن تعمل ما لا يعمله إلا بنات الطبقة الدنيا سعيا إلى الرزق والكفاف ؟

ولكن الفتاة أصرت على أن تهجر حياة الرفه والعبث، وأن تؤدى عملا يرضى عقلها ويريح قلبها . فلما قامت حرب القرم واشتبكت فيها بريطانيا ، لحقت بجيش بلادها تمرض جرحاه . فأخذ أصدقاؤها وصديقاتها فى حفلاتهم الراقصة يتساءلون : وماذا تستطيع فتاة واحدة أن تفعل ؟ ... ولكن فلورنس أجابتهم عن تساؤلهم حين هبطت نسبة الوفيات بين الجرحى من ٤٢ ٪ إلى ٢ ٪ .

كانت وسائل التمريض عقيمة جدا ، فكانت الجراح تحشى بالقطن الملوث ريثما يأتى الجراح بعد ساعات طويلة ، وكان الجرحى والمرضى يكدسون معا فى أماكن قلما ينفذ اليها الضوء أو الحرارة ، وكانت أوبئة الكوليرا والدوسنطاريا تعصف بالجنود عصفا ذريعا .

فوضعت فلورنس نايتنجيل نظاما جديدا للتمريض على أسس علمية صحيحة ، كما وجد فيها الجرحى والمرضى مثلا رفيعا فى روحها وخلقها ، حتى أطلقوا عليها لقبا من ألقاب القديسات هو " السيدة الطاهرة " وكأنما كانت هناك قوة روحية عظيمة تشع من وجهها وتفيض من حديثها ، فلا تكاد تدخل ردهة المرضى حتى يشعروا كأن أعباء المرض خفت عنهم كثيرا ، فكانوا ينتظرون موعد مرورها بصبر نافد وشوق عظيم ، فلا تكاد تهل عليهم حتى تتهلل وجوههم بشرا ورضا .

وعادت بعد الحرب إلى انجلترا حيث استقبلت استقبالا شعبيا مجيدا ، ورفعها الكتاب إلى مصاف البطلات الخالدات فى صفحات التاريخ . فما من جندى جرح منذ حرب القرم حتى الآن إلا وهو مدين لهذه الفتاة التى وضعت أساس التمريض الحديث ، والتى أدت بمفردها ما كان الناس يعتقدون أن لا سبيل إلى أدائه إلا أن تتضافر الحكومات ، وتنهض الجماعات ، وتنفق أكداس الأموال !

* * *

فى تاريخ السجون مثالان على ما يستطيع الفرد الواحد أن يفعل إذا هو أخلص النية وصدق الجهاد .

كان أرنست كولز كاتبا فى إحدى محاكم الأحداث ، فرأى الصبى يدخل السجن غرا ساذجا ويخرج منه مشبعا بفكرة الجريمة حاذقا فنون الاجرام . ورأى أن الطفل الآثم لا يهذبه ولا يردعه إلا صديق يرشده ويهديه . فاقترح على جماعة من أصدقائه أن يتخذ كل منهم صديقا من أولئك الصبيان الذين يزلون فى بدء حياتهم . واستجاب أصدقاؤه لهذا الرأى ، فلم يلبث أن رأى الناس هؤلاء الصبية الذين كان مقضيا عليهم أن يقضوا أعمارهم فى أوكار الجريمة والرذيلة ، وقد اتخذوا طريقا سويا يحيون فيه حياة شريفة نافعة ، يعود خيرها عليهم وعلى المجتمع معا .

وقامت على أثر هذا حركة " الأخ الأكبر " التى شملت برعايتها آلافا من الصبيان الذين لم يلبثوا أن اقلعوا عن جرائمهم وصاروا أعضاء عاملين فى بيئاتهم ، وقد انتشرت هذه الحركة بعد ذلك فى كثير من الشعوب ، وأصلحت كثيرا من جوانب الحياة ، مع أن الذى فكر فيها وبدأ بها لم يكن عظيما ذا جاه ، ولا محسنا ذا مال ، بل كان كاتبا بسيطا ، منفردا ، ولكن

وكانت السجون فى القرن الثامن عشر كهوفا وسراديب يسام فيها السجناء سوء العذاب ويقاسون هول الأمراض ، فهال أمرها رجلا انجليزيا هو جون هوارد ، فقام يندد بما يقارف فيها من القسوة والغلظة ، ويدعو الى شيء من الرفق والرأفة ، فلم تنقض سنة واحدة على دعوته حتى عملت الحكومة على اصلاح سجونها لأول مرة . ثم خلفته فى حركته السيدة البزاث فراى التى دوى صوتها فى أرجاء الأرض جميعا ، داعية الى أخذ المجرمين بالشفقة والحسنى ، وبهذا قامت إحدى الحركات الانسانية النبيلة على يد سيدة واحدة ، كانت تعنى — وهى ما تزال فى سن العشرين — برعاية الفقراء والمساكين من جيرتها .

* * *

وقصة " جيش الخلاص " مثل من أعظم الأمثلة التى تساق دليلا على أن رجلا واحدا يستطيع أن يؤدى من الخير ما يعجز عنه مئات وآلاف من الرجال .

هذا الجيش الذى يتألف الآن من ستة وعشرين ألف ضابط ، تنتشر كتائبهم فى ثمانية وخمسين قطرا .

هذا الجيش الذى يصدر مائة وثلاثين صحيفة ، ويلقى محاضراته ومواعظه بأربع وسبعين لغة ، ويعقد كل أسبوع أكثر من أربعين ألف اجتماع فى جميع أنحاء العالم .

هذا الجيش الذى انشأ مئات البيوت والملاجئ ، أعدها لايواء الأطفال المشردين ، والعجزة والمسنين ، ولرعاية الأمهات الفقيرات ، ولإسكان الذين لفظتهم السجون مشردين منبوذين .

هذا الجيش الذى يملك ويدير عددا كبيرا من المصانع ، والمزارع ، والبنوك ، وهيآت التأمين ، وهيآت المهاجرة ، والمستشفيات ، والمصحات ، ومنشآت الخدمة الاجتماعية المختلفة .

من الذى أنشأه ؟ هل ألفته حكومة ذات سطوة وسلطان ؟ هل ألفه مليونير تبرع بملايينه لأعمال البر والاحسان ؟ هل ألفته جمعية ذات أموال وأعضاء وفروع كلا ! وانما ألفه قسيس بسيط اسمه "بوث" لا يتميز عن أى واحد من آلاف القسس الذى تعج بهم كنائس انجلترا ، إلا بروح مضطرم بالبر والخير والاحسان ، مكنه من أن يكتب فى التاريخ صفحة قلما كتب مثلها من أوتوا الحكم والجاه والمال .

نظر "بوث" فرأى الآثام والرذائل تعصف بالناس عصفا ذريعا ، فأبى على نفسه أن يمضى حياته قسيسا يؤدى الصلاة ويلقى المواعظ أيام الآحاد والأعياد ، مستمتعا بما يستمتع به أمثاله من رغد العيش وهدوء البال ، وأصر على أن يكرس ما بقى من حياته فى كفاح الجريمة

أعوانه ومريديه ، وبثهم فى مدن انجلترا وقراها ، يحو بون أحياءها الفقيرة ، ويختلطون بعالمها وفلاحيها ، ليحضوهم على الحياة الفاضلة بما يلقون عليهم من الخطب والعظات ، وما يذيعونه بينهم من الكتب والصحف ، وما يقومون به من زيارات خاصة للبيوت والأسرات ، ليحضوا الناس على ترك الخمر والميسر ، وأخذ أنفسهم بالعفة والطهارة ، وتدعيم الحياة الزوجية على أسس من العرف والحسنى .

وكان "بوث" وأعوانه يتعرضون فى سبيل هذا لكثير من الضرر والأذى ، فكثيرا ما كان يعتدى عليهم السكيرون والمقامرون ، ومن تؤجرهم مصانع الخمر وأندية الميسر لايذائهم ومقاومتهم . بل إن الحكومة كانت تجنى عليهم وتنالهم بشديد العقاب ، وقالت إحدى المحاكم فى قضية لهم عرضت عليها : « إن السكر لايبيح لأحد أن يتعرض للسكير ، كما أن حمل الساعة فى جيب الصديرى لايبيح للص اختطافها » وهو منطق فى غاية الغرابة ، لأن السكر رذيلة وليس كذلك الأمر فى حمل الساعة ، ولأن التعرض للسكارى بالنصح والارشاد ليس كالتعرض للناس بالسلب والسرقة ؟ وقد بلغ من أذى الناس لجنود جيش الخلاص أن أنشأ بوث مستشفى خاصا يعالجون فيه مما يصيبهم به الناس من الجراح والكسور ؟

ولكن الجيش ثبت وصمد ، وكثر جنوده ومؤيدوه ، فاتسع نطاق أعماله ، وأخذ ينشئ الملاجئ للأطفال والمسنين ، ويقيم المستشفيات للفقراء والمعوزين ، ويعد بيوتا للأمومة تجد فيها الوالدات الرعاية والتمريض ، ويبنى مصانع يعمل فيها العمال المتعطلون ، ويستأجر مزارع للمتعطلين الذين لايحسنون الصناعة . وكذلك أنشأ بيوتا لمن تلفظهم السجون ، فيعودون الى حياة الجريمة يلتمسون منها الرزق ، ربما يزج بهم فى السجن مرة أخرى . وأخذ يحض الناس على الاقتصاد فى الطعام يوما فى الأسبوع ، ليتبرعوا بما اقتصدوه للفقراء الذين لايجدون الكفاف من القوت ، وغير هذا من مئات الخدمات الاجتماعية الجليلة التى عمت أقطار العالم جميعا ، وأفادت منها جميع الشعوب والطوائف خيرا جزيلا ، وكل ذلك بفضل رجل واحد لم تقعده قلة جاهه وماله عن أن يكرس نفسه لخير الانسانية عشرات السنين ، فأدى من ضروب الاصلاح الاجتماعى ما قد تعجز عنه حكومات بأسرها .

* * *

فى سنة ١٨٤٤ تأسست فى انجلترا أول جمعية تعاونية ، هى جمعية " روتشيل " .

وفى سنة ١٩٣٧ بلغ عدد الجمعيات التى نمت من هذه الجمعية الأولى ١٠٩٤ جمعية .

وكان أعضاء الجمعية الأولى ثمانية وعشرين عاملا ، فصار أعضاء الجمعيات الحالية أكثر من ثمانية ملايين .

وكان رأس مال الجمعية الأولى ثمانية وعشرين جنيها ، دفع كل عضو فيها جنيها منها ، فصار رأس مال الجمعيات الحالية مائة وخمسين مليونا من الجنيهات .

كيف تمت هذه "المعجزة" الاجتماعية الكبرى ؟

لم يكن الفضل فى هـذا السبيل للحكومة الانجليزية ، ولا لأحد من أصحاب الملايين ، ولا لجمعية من هذه الجمعيات التى تملأ الصحف والأندية بألوان الدعاية الصارخة — و إنما الفضل الأول لثمانية وعشرين رجلا من صغار العمال فى أحد مصانع النسيج بقرية "روتشيل" تكتفوا معا — تحدوهم روح الاخلاص — على إنشاء جمعية تعاونية بسيطة ساهم كل رجل منهم فى رأس مالها بجنيه واحد ، وأنشأت دكانا صغيرا للبقالة يمد أعضاء الجمعيات بحاجاتهم القليلة ؛ فلم يكد تمر سنوات حتى صار لهذه الجمعية وفروعها بدلا من هـــذا الدكان مصانع ضخمة ؛ وفروع فسيحة ، وأندية حافلة ، وأثر خطير فى حياة انجلترا الاجتماعية الاقتصادية .

واذا عرفنا أن فى العالم الآن زهاء سبعمائة ألف جمعية تعاونية ، تضم مائة وخمسين مليون عضو ، وقيمة معاملاتها فى كل سنة زهاء ستة آلاف مليون من الجنيهات — أدركنا مدى الأثر البليغ الذى أحدثه هذا النفر القليل من نساجى " روتشيل " فى حياة العالم .

* * *

ان الأمثلة على ما يستطيعه " الفرد الواحد " أكثر من أن تحصى وتستقصى . وتلك الحركات الخطيرة التى ذكرناها انما نضربها على سبيل المثال لا على وجه الحصر . فكثير من الحركات والهيئات العالميـة الكبرى قامت بفضل رجل واحد ، أهم مميزاته وأولى مسائله الاخلاص — الاخلاص للوطن الذى أنشأه ، وللانسانية التى ينتمى إليها .

وفى وسع كل فرد منا أن يعمل عملا عظيما إذا هو تذرع بهذا الاخلاص . فى وسعه على الأقل أن يصلح القرية التى أنشأته ، أو الحى الذى يقطنه ، أو البيئة الصـغيرة التى يتردد فى جوانبها . ولن يقف فى سبيله — إذا خلصت نيته وصدق جهاده — قلة ماله أو ضعف جاهه . كلا : فما يتطلب الأمر من المصلح الاجتماعى الا أن يرسل الصيحة الأولى فتتردد أصداؤها فى الأنحـاء . وميدان الإصلاح كميدان القتال : يرفع أحد الجنود لواء الجهاد ، فتتدافع اليه جميع الأجناد ، ليقفوا من حوله صفا واحدا .

عبد الحميد عبد الغنى

طريقنا إلى الاصلاح الاجتماعى

فضيلة القوّة

للأستاذ مصطفى الصاوى

المدرس بالأزهر

لعل أول ما يجب أن نتوجه إليه فى إصلاحنا الاجتماعى هو التمهيد لخلق فضيلة القوّة التى هى — كما أعينها — جماع لفضائل ومقومات تنهض بالشعب بعد أن كبا وارتكس وتحطمت ذاتيته وأصبح مجموعة متناقضة لا تتسق فى نظام . ولا تربط بينها وحدة. ولا تعمل على طريق يسير بها إلى غاية .

وهذه القوّة التى أعنى لا تقوم على القهر والغلبة والسيطرة ، ولا تحويل الشعب وموارده إلى جندى ومدفع بمقدار ما تقوم على تكوين الذاتية الشعبية التى تجعل الشعب ذاته صالحا لكل شىء مسايرا لكل توجيه . وحينئذ يمكن أن نجد فى طبيعته استماعا لأقوال الدعاة واستجابة لصيحاتهم ثم دءوبا فى السعى الحثيث لإدراك ما يريد . ويريد له قادته وأصحاب الرأى فيه .

ولتحقيق فضيلة القوة هذه لا بد لنا من مراجعة ماضينا الخلقى والاجتماعى والوقوف المتأنى عند عصور الانحلال نتلمس فيها ما أصاب الشعب وما فرضته عليه عوامل هذ الانحلال من تحوّل فى الأخلاق وتحطم فى الجماعة . والوقوف وقفة المتأنى كذلك عند عصور النهضات نتدارس ما تركته فى نفوس الناس من آثار وما اتجهت إليه الموجة الخلقية فى ذلك الحين ثم الاتزان الكامل والروية والأناة فى الحكم فلا يستخفنا مجد فنصيح ، ولا تدهم أحلامنا حقيقة منحلة فنيأس . ولنا بعد هذه الدراسة أن نرجع إلى مجتمعنا اليوم نتفحص حالته على هذا الضوء الجديد ، ونحاول جاهدين أن نتقبل الحقائق المجردة دون تزويد أو ستر حتى نستطيع أن نحكم الخطة ونسدد الخطو .

أول ما نلمح من مظاهر الانحلال فى الشعوب فقدان الثقة بالنفس ، وإنعدام الذاتية المسيطرة المتمكنة التى تفعل لأنها أرادت ، وتنتصر لأنها صممت على الانتصار برغم ما قد يعتور قواها المادية من ضعف أو فتور .

وإن أساس الأول لخلق هذه الزيادة وذلك التصميم هو إدراك الشعب لحقائقه الأليمة إدرا كا كاملا، وشعوره بكرامته شعورا ينتقل به من حيز النظريات إلى تحقيقها عمليا . يعد كل هزيمة فى سبيل النجاح درسا جديدا لطريقة الكفاح يعرف فيه مقدار خطئه ومداه فيتلافى خطأ الأمس ثم يقبل على كفاح جديد يزيدفيه ملقيه من مقاومة ، وما قدمه من تضحية .

وكما نلمح فقدان الثقة فى الشعب المنحل نلمح فيه كذلك مظهرا خلقيا ممتكينا يحول فضائله ويمسخها ويشوه كل ما فيها من جمال حتى لتصبح هذه الفضائل فى ثوبها الجديد من أشد أمراض المجتمع فتكا به ، فهى لا تزال تستتر شوب الفضائل الفضفاض ، وتمتع بالتمكن من النفوس .

هذا المظهرهو الجنوح إلى الفضائل السلبية وتمجيدها والتنكر للفضيلة الإيجابية واعتبارها رذيلة وحمقا .

ففى عصر كهذا الذى نحن فيه لانكاد نرى شبحا لفضيلة التعاون بينما نرى الأثرة تتغلغل فى كل أعمالنا كما لا نجد الحرص على مظهر الجماعة يشغل قلوب أفراد هذه الجماعة ، بل لقد نجد من يقوم إنسانا لأنه دعا إلى خير أو نهى عن منكر جاهلا أن تلك طريقة لاتتفق فى شىء مع أيسر شرائع الاجتماع فضلا عن دين كالإسلام يعتبر المؤمن والمؤمن بنيانا متراصا وجسما واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

كما نرى مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) الذى أصبح مبدأ شعبيا عاما . ولو تفهمت هذه الغاية وأحيطت هذه الوسيلة بهالة تحطم فيها الذاتية والكرامة والخلق وجميع المعانى السامية التى قدمتها الأديان وشرائع الاجتماع. ونجد فى جانب فضيلتى التواضع والقناعة وفى الجانب الآخر لا نجد فضيلة الشجاعة والنجدة وحماية الضعيف إلا حديثا سيارا وقصة جميلة الحبك بالغة العظة تدفع الألسنة إلى التهليل والتمتمة ، ولكنها عاجزة كل العجز عن أن تكون موجهة للشعب إلى العمل بها ولو إلى حد صغير . ولو وقف الأمر عند ذلك لهان بعض الشىء ولكن ما ذكرت من تشويه الفضائل الإيجابية أشد خطرا وأنكر نتيجة : فالشجاع لدينا متهور ، وناصر الضعيف متدخل فيما لا يعنيه ، والمعتز بكرامته حين يرفض أن يعيش بماء وجهه لا يعرف أساليب الحياة ولم تصقله الأيام بعد صقلا يساير روح العصر ويتسق مع الاجتماع الذى يعيش فيه ، حتى أصبحت طبيعة هذا الاجتماع مهيأة للكبوة والانحلال فاكتنفت ألسنة الناس حكم وأمثال تهبط بهم إلى قرارة سحيقة وتحطم فيهم كل معانى الطموح والشعور بالذات وإليك طائفة من هذه الأمثال :

(اللى يجوز أمى أقول له ياعمى) (إن عبد الناس عجل حش وارمى له) (إن كان لك عند الكلب حاجه قول له ياسيدى) إلى غير ذلك مما يترجم عما يخالج هذا الشعب من انحلال

حين نرجع الى دواوين خطباء المنابر من عصر غير بعيد وهم وحدهم الألسنة الناطقة فى ذلك العهد فلا نجد فيها غير الحديث المتهالك الذى لا يبشر بأمل ولا يقود فى حماسة الى حق الشعب عن طريق فضائل الايجاب واحيائها فيه ، فكل ما لديهم تواضع وصبر وزهد ورضا بما قسم الله وتخويف من نار وترغيب فى جنة ، هما وحدهما دافع العبادة لا ما فى العبادة نفسها من معنى روحى خالد يصلح حال الفرد ويقوم الاجتماع .

وأنا أومن أن هذه الفضائل الايجابية قد شرعها الدين لتكون الأسلوب العملى لتكوين الاجتماع ، وأن الفضائل السلبية لا تكون غير ضوابط لهذه القوة الدافعة فهى (كمصحة) الحريق لا تفتح إلا حين تندلع ألسنة اللهب ولا تستعمل الا حين تدعو الضرورة إلى استعمالها .

هذه حقيقة فضيلة الايجاب وفضيلة السلب ولكن الأفكار فى عصور الانحلال تظل دائما بداء الرضى والاستسلام فتجعل تلتمس أسماء لهذا الضعف حتى تجد فى خداع الأسماء بعض التسلية .

وهناك مظهر آخر من مظاهر الانحلال يتصل بما قدمت من انعدام المدنية فى الشعب وذلك المظهر هو الفكرة التى تقوم فى أذهان بعض ذوى العقلة من أن لبعض الأجناس من حق السيادة والتحكم بنتيجة لما وهب الشعب من مزية فى الخلق والخلق ما يجعل بعضها الآخر راضيا بالذلة مستسلما للهانة لا يقوم فى رحابه أن يتخلص من استعباده سياسيا وفكريا واجتماعيا ، فهو خاضع عن رضاه فى حياته السياسية خاضع فى حياته الفكرية لا يكاد يؤمن علماؤه ولا ساسته بحقهم فى البحث ولا يقدر الشعب نفسه ما يقدمه اليه العلماء والساسة ، وخاضع كذلك فى الاجتماع فهو ينقل عن غيره ويقدس ما ينقل ولا يعمل فيه فكره ولا يوفق بينه وبين تقاليده وانما يعتسف طريقه اعتسافا .

وفكرة الأجناس كما يبدو لى قد استغلت استغلالا سياسيا ترك فى أذهان بعض الشعوب أنها لا تصلح لغير حياة ذليلة تعيش فيها عالة على غيرها فى كل شىء . وعندى أن المقدرة لا توهب لجنس دون آخر وكل ما بين الشعوب من فروق لا يعدو أن يكون أحدها قد وجد من يحرص له على أخلاقه ومن يجلو عليه آماله ثم يقوده إليها . وأن الآخرين لم يتيسر لهم فى حياتهم ما تيسر لذلك الشعب السعيد .

ولدينا فى مصر دليل يؤيد ما أذهب اليه وهو ما نراه ونلمسه فى بعض الأفراد من قوة ذاتية لم تهذب حتى أصبحت من أول ما يبعث على الشكوى . وهذه القوة ذاتها هى دليل مادى على أن الهوان ليس طبيعة مطردة فى نفس الشعب وأساس صالح كل الصلاحية لتحويله إلى شعب يعرف قدر نفسه ولا يرضى أن يعيش بين أخلاف التاريخ

التناسق بينهم وعدم تهذيب ما تطرف من طباعهم قد قتل هـذا التفوق وستره وجعل القوة الفردية فى اتجاه متضاد تدفع كل قوة أختها فتتحطم أو تقف وبذلك أصبحت القوة سببا من أسباب العدوان وكان الأصل فيها أن تنهض بالشعب على أساس من التعاون المشترك يضاعف أثر الفرد لنفسه وللناس " والمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ".

ثم ماذا ؟

ثم الفقر ، ولست أرانى بحاجة للحديث الكثير عن الفقر وصحيفة الشؤون الاجتماعية ذاتها معرض لصور هـذا الفقر التى يرسمها بيان الواصفين حين ينقلون صور حياتنا المصرية فى الريف أو فى المدن .

ولست أدرى كيف يمكن للجائع أن يفكر فى العزة والكرامة ويحب شؤون الجماعة والنظر فى القومية والتمهيد للحياة القوية وهو لا يكاد يشعر إلا بشىء واحد هو لذع الجوع ولا يقدر غير شىء واحد هو هم الحياة .

ذكرت تقريرات السجون أن نسبة كبيرة من الجرائم دافعها الأول إنما هو الفقر وفى اعتبارى أن هـذا النوع من الجريمة لم يقترفه من سجن فيه ولكن مقترفه الحقيق هو هـذا الاجتماع الذى أخطأ فى حق الفقير فأخطأ الفقير فى حقه " وجزاء سيئة سيئة مثلها ".

وماذا يمكن له أن يفعل وقد سدت أمامه السبل والنوت وتعقدت وحياة السجون خير من حياة تقذف بذلك البائس من أفريز إلى أفريز وتسلمه من هم الجوع إلى هم الكسوة إلى هم الإحساس بالفرق الكبير بينه وبين من يراهم من الأحياء .

هو الفقر أولا وقبل كل شىء داؤنا المتمكن الذى إذا أصلح وعولج صلح بصلاحه كل ما اعتورنا من فساد . ولست أطلب بذلك عجبا فأنا أريد الفقر الصالح المهذب المعقول . أريد فقر الكماليات التى تحتل المرتبة الثانية من لوازم الحياة لا هذا الفقر المطبق الذى يحرم صاحبه الكفاف من العيش والمرقعة يستر بها الجسد ويدفع بها غوائل الطبيعة بحرها وبردها والآن أين السبيل الذى ينهض بنا إلى تحقيق فضيلة القوة هذه ؟

أكاد أومن أن شطرا كبيرا من ذلك يقع على كاهل الجمهور قبل أن يقع على كاهل الحكومة التى أثقلها الشعب بكل شىء فأرادها حاضنة ومربية وطبيبا وساعيا للعيش ورمى على عاتقها بكل أثقاله .

ولو ساير الشعب الحكومة وأحس أصحاب الرأى فيه بواجبهم لأمكن أن تنهض بهم إذ كيف تستطيع الحكومة أن تنهض بشعب لا يريد أن يساير النهضة .

وأصحاب الرأى والكتاب هم من تقع عليهم تبعة هذا التطور فهم وحدهم الذين يستطيعون أن يصوروا للشعب الحياة الكريمة و يحفزوه إلى النهوض . و إذا كانت الكثرة الكثيرة من الشعب لم يفلح التعليم فى خلق ملكة القراءة فيها فان واجب المصلحين يتحول إلى الدخول إلى مسارب الأهواء فى النفوس وتحسس مكامن الهوى فى القلوب حتى يمكن أن ينفذ الإصلاح الخلق اليها عن طريق أهوائها ونزعاتها . وأنجح الوسائل لهذا الغرض تصوير المعانى الخلقية فى قصة تبين مقدار ما ينتج عن الفضيلة من خير فتندفع اليه ، فكل قارئ للقصة يضع نفسه موضع شخصية خاصة من شخصياتها فهو يحس بإحساسها و يفكر بعقلها .

ولدينا فى مصر مؤلفون بارعون وقصصيون من الطراز الأول لو وضعوا فى أذهانهم أنهم بقصصهم يعالجون مرض الشعب لكانوا أعظم أساة الاجتماع .

أما وسائل إذاعة هذه القصص فالتمثيل والسينما . ولكنهما لا تزالان وسيلة من وسائل التسلية الرخيصة عن طريق تملق عواطف الشعب واستجداء ضحك الجمهور ، ولو كان فى ذلك هدم لبعض وسائل النهوض ، أما كتابنا فلا تزال أذهانهم مشغولة بأمور هى أبعد ما تكون عن حاجة العصر فهل لهم أن يتجهوا للاصلاح الاجتماعى و يتعاونوا مع الحكومة عليه، فيتعاون الكتاب والحكومة على خلق مجد الشعب الجديد وهل آن لهم أن يكتووا بنار الإحساس بالخطب ليدرأوه .

لنا آمال فمتى يسعدنا بتحقيقها الزمن ؟

مصطفى الصاوى

إصلاح القرية أم إصلاح حال الفلاح

للأستاذ عريان يوسف سعد

حلم جميل لو تحقق ... فأى شيء أجمل من أن نرى القرى المصرية وقد اصطفت فيها بيوت صغيرة أنيقة تتوافر فيها وسائل الراحة. الماء فيها موفور على مقربة من القرويات والدواء ميسور فى الوحدات الصحية .

ولكن هل هذا ما يحتاج اليه الفلاح حقيقة ؟ بيت جميل وماء ودواء — إنك من غير شك تشعر بركن منهدم من هذه السعادة فالبيت مبنى والماء موفور والدواء فى متناول اليد، ولكن هل هذا كله يغنى عن الطعام ؟ من غير شك لا ... وهل تليق الجلابية المرقعة للظهور فى هذا البيت ؟ تصور الفلاح فى هذا البيت النموذجى و بجانبه الماء النقى ولكنه لا يزال يرتدى جلابية واحدة ليس تحتها شيء من الملابس الداخلية .

وتصوره وقد وضع أمامه خبز الذرة وقليلا من الملح وبصلة أو قطعة من أى خضار مخلل تصل إليه يده من الخيار إلى قشر البطيخ إلى الكبر إلى ورق الكرنب وجلس يأكل ذلك الطعام الذى لا ينجو من يعيش عليه من الهزال واصفرار اللون وضعف المناعة الصحية وعدم نمو الجسم نموا يبلغ بالأولاد أجسام الرجال الكاملين وبالبنات أجسام الإناث الصحيحات.

هذا الطعام الذى يعيش عليه الفلاحون هو أساس شقاء الفلاح ، وكل إصلاح يحاوله أولو الأمر قبل العناية بتحسين هذا الطعام بدء من نصف الطريق لا يفيد .

كانت موارد الريف فيما مضى أكثر بالنسبة لعدد السكان . يدلك على ذلك أسعار الأشياء التى يأكلها الفلاح — كانت أثمان الحبوب بسيطة والطيور والبيض واللحم والسمن كانت أثمانها ضئيلة . اسأل فلاحا شيخا يقل لك كنا نشترى ٢٠ بيضة بقرش وكيلة الذرة بأربعة قروش وقس على ذلك .

وكان عدد البقر والجاموس فى البلاد أكثر بكثير من عدده الآن رغم زيادة عدد السكان زيادة تكاد تبلغ الضعف، فقد استهلكت الحرب الماضية عددا ضخما من الجاموس والبقر لم تفكر حكومة من الحكومات فى استيراد غيره من الخارج بعد تلك الحرب وتوزيعه على

[illegible] تشريعات قد صدرت عن إناث الجاموس و بقر حتى يجوز ذبحه ولكن تحت السن هى التى تبدأ فيها الجاموسة أو البقرة الإنتاج . ولو جعلت السن التى تكف فيها البقرة أو الجاموسة عن الولادة هى الحد الأدنى لجاءت تلك التشريعات بشيء من الفائدة .

أدت قلة الجاموس والبقر ، خصوصاً بالنسبة لزيادة السكان باطراد ، إلى قلة اللبن ومنتجاته من الجبن والسمن فارتفعت أسعارها وقصرت قدرة الفلاح الشرائية عن أن تمكنه من الفوز بقسط وافر منها فاضطر لأن يملأ بطنه بما لا يسمن و يشبع فهزل وانحطت مقاومته للأمراض ومناعته ضد الميكروبات ففشت وانتشرت وعلى المصلحون بمقاومتها بالعقاقير والأدوية ، و باعتبارى ، رجلا نشأ فى أوساط الفلاحين وخبر حياتهم عن قرب وأصيب بأمراضهم مثل البلهارسيا — أعتقد أن أول مايجب أن يعنى به الطبيب المعالج هو أن يوفر الطعام والراحة لمريضه فمثلا حقنة الفؤادين التى تعالج بها البلهارسيا تستوجب الطعام المغذى والراحة التامة والفلاح لاحول له ولا قوة على الحصول على غذاء مفيد .

ولا يمكنه أن ينقطع عن عمله فكأنه يعالج نصف علاج . ولست أجسر أن أقول إن العلاج بهذا الشكل ضار خشية أن يغضب الأطباء لتدخلى فى صميم عملهم .

من أراد أن يصلح الفلاح وحال الفلاح وصحة الفلاح فليمن أولا بأساس الحياة وسر الوجود وهو الطعام ثم الماء ثم الدواء ثم السكن أما أن يتركه يموت جوعا ومسغبة فأنت من غير شك لاتقره على هذا النوع من الاصلاح والمثل العامى يقول (أنا أكلت إيه أشرب عليه) .

أول بناء يبنى عليه تحسين حال الفلاح مده بإناث الجاموس والبقر تدر عليه اللبن ومنتجاته وتنمى ثروته ، فالعجلة التى تعطى للفلاح بأربعة جنيهات يصبح ثمنها بعد ثلاث سنين عشرين جنيها (بأسعار قبل الحرب) وتصبح مورد طعام له ولأولاده ومورد كسب يبيع منها فيستطيع أن يشترى ما يعجز عن شرائه الآن من لوازم الحياة وضروراتها ، والجاموسة بعد ذلك كله أو جله ساعد الفلاح الأيمن تدور فى الساقية وتجر المحراث وتعطيه السماد لأرض يزرعها وتأمين لدى أصحاب الأطيان ، إن طلب أن يزرع أجروا له أرضهم عن طيبة خاطر .

إن فلاحا قويا شبعان ينام فى العراء خير لنفسه وللوطن من فلاح هزيل سقيم يسكن بيتا (مودرن) و يشرب ماء من فيشى !

عريان سعد

لغـة البهائم . . . . !

للأستاذ عماد الدين عبد الحميد
المحقق القضائى بالآثار

كانت العربة البخارية – كما يسمونها – تسير بنا ، فلا تقطع الأرض قطعا أو تنهبها نهبا – كما يقولون – وإنما كانت كأنما تمعن فى أن تشعرنا بالملل ، فتسير الهوينى ، وتقف عند كل محطة فى الطريق إلى ضاحية ما من ضواحى القاهرة ، ضاحية كتب عليها أن تظل حالها دائما مثار الشكوى من أهلها ... والذى يقوله الناس إن حالها تبقى كذلك ، لأن فى بقائها كذلك راحة واطمئنانا وسببا من أسباب اليسار لضاحية أخرى !

كانت العربة البخارية تسير بنا هكذا ، ويزيد فى مللنا اضطرارنا اضطرارنا إلى أن ننفض عن وجوهنا ، وعن ملابسنا ، وعن مقاعدنا ، حبيبات الفحم التى توزعها الآلة البخارية عدلا من مقدمة العربة على جميع الراكبين فى الدرجتين الأولى والثانية على السواء. وحبيبات رمال الطريق الصحراوى التى توزعها عدلا كذلك نوافذ العربة البخارية التى لم يقدر لها – أو لنا – منذ عرفناها ، أن تكون عند الحاجة محكمة الإغلاق !

وكان يجلس أمامى أديب معروف من كتاب الشباب وشعرائهم وهو أحد محررى هذه المجلة ، يحاول أن يخرجنا من أسر الملل بنقداته الطريفة للعربة التى تحملنا على الرغم منا ، ولو استطعنا نحن أن نحملها لنعجل بالوصول إلى حيث كنا نرغب فى أن تصل لما ترددنا جميعا !

وكنا نجد فى نقـدات صديق الأديب عزاء – إلى حد ما – فى أوقاتنا الضائعة ، وراحتنا الضائعة ، وملابسنا الضائعة ، حتى إذا ما كانت العربة البخارية بنا عند محطة ما فى الطريق ، أخرجنا عن الملل وأثار انتباهنا صوت قوى صارخ من شاب كان يجلس قريبا منا ، يرتدى رداء رجال الجيش ، وتميزه "نجمة" فوق كتفه ، فتحدث بأنه ضابط شاب فى رتبة الملازم الثانى ، عرفت فيما بعد بأنه من ضباط جيشنا ، الذين انضووا تحت لواء العسكرية من بين الموظفين ، فدربوهم على الأعمال العسكرية شهورا ، ولقنوهم من الثقافة العسكرية دروسا ، ثم منحوا حاملى شهادات "البكالوريا" منهم "نجمة" ... ومنحوا حاملى الشهادات العالية "نجمتين" .

ارتفع صوت هذا الضابط الصغير صارخا بعبارات لم أكن أريد أن أصدق أنها تصدر عن انسان وصلت به ثقافته إلى أن صار ضابطا فى الجيش... وارتفع هذا الصوت صارخا فى انسان ميزته بعد لحظة ، فإذا هو جندى من جنود حراسة المحطة ، الخاضعين لإشراف وملاحظة حضرة الضابط المحترم !

كان طبيعيا أن نميز بعض العبارات الصادرة عن حنجرة الضابط ، أو كل تلك العبارات ، فنذكر منها قوله : " انت يالوح يا ابن اللوح " و " إنت يا كلب يا ابن الكلب " و " إنت يا كذا يا ابن كيت " وغيرها من العبارات التى يلزمنى عند ذكرها أن أردفها فى حديثى بكلمة " الأبعد " ، لخروجها عن أصول اللياقة فى علاقة الإنسان بغيره من بنى آدم . . . وعن أصول الكرامة اللازم توافرها وشعور الإنسان بها نحو نفسه كانسان !

كان طبيعيا أن نميز هذه العبارات ، وكان محتوما أن يشغلنا أمرها عما كنا فيه من حيث صديق الأديب . فنتنبه جميعا إلى قصة هذه العبارات .

وعندها علمنا أن حضرة الضابط لاحظ على الجندى ارتكابه مخالفة ما ، لا أريد أن أخالف الضابط فى أنها مخالفة خطيرة ، وأنها تستوجب اللوم الشديد والتأنيب الكبير والعقاب الصارم والجزاء الرادع ، حتى لا تتكرر من الجندى هى أو مثيلتها من المخالفات . ولكنى خالفته من الوهلة الأولى فى أنها تسمح هى أو غيرها من المخالفات بأن يخرج حضرة الضابط عن شعوره أو يفلت منه ميزان ضبط عواطفه ، فيفوه بعبارات منحطة ، وألفاظ من السباب عريقة الصلة بالصفات الوضيعة ، التى أربأ بمثل حضرة الضابط أن يقبل نسبتها اليه !

خالفت حضرة الضابط فى هذا من الوهلة الأولى ، وكنت أود أن أعلن له مخالفتى صراحة ، لولا أن الأخلاق والكرامة والشعور البشرى لم تفقد من صارح الضابط بمثل ما كنت أريد أن أصارحه به .

فكنت — كما كان الناس جميعا — فى شغل عن مضايقات العربة البخارية بحديث جديد بين الضابط وبعض الراكبين ، حديث هو درس قيم لا أشك فى أنه سيبقى فى ذهن هذا الضابط ما بقى ... ويا حبذا لو كان قد تسنى أن يلقى هذا الدرس على جميع الضباط وعلى الناس أجمعين ، لا لأن جميع الضباط والناس يفعلون مثل ما فعل هذا الضابط ، ولكن لأن فى الناس وفى الضباط كثيرين ممن يفعلون .

حاول الضابط كثيرا أن يقنع الناس بأنه معذور فيما فعل ، وأن هذه وحدها لغة التفاهم

ور بما كان هذا لأنهم يعتقدون بحق أن التعليم لا يلقن بالجهل، وأن الأخلاق لا تربى بسوء الأخلاق ، وأن النظم لا تطبق بالفوضى . . .

ور بما كان هذا لأنهم يعتقدون بحق أن هـذا الجندى إنسان كالضابط سواء بسواء، وأنه لولا الرداء الناعم ذو النجمة ... والرداء الخشن بغير النجمة ، لما استطاع الضابط أن يفعل مثل ما فعل لأى سبب من الأسباب .

ولما سئل حضرة الضابط : لماذا لا ينزل ويتأخر للقطار التالى ، حتى ينهى حسابه القانونى مع الجندى، فى غير ضجة أو تظاهر بسلطان الرياسة بين الناس، احتج بأن الحادث وقع فى أثناء راحته من العمل ، وليس مسئولا أن يعمل فى أثناء راحته !

وقد سمعت حضرة الضابط يحاول إقناع الناس بأنه فعل خيرا ، إذ الجندى مسكين والضابط رحيم ... وسيكتفى حضرته بهذا السباب فلا ينزل بالجندى جزاء شديدا ... وهو يعتقد أنه بهذا يصلح الجندى وينزل به رحمته !... وكنت أرجو لو قال له محدثه، إنه بهذا لا يصلحه ولا يرحمه ، لكنه يفسده ويشتد فى القسوة عليه .

فهو يميت فيه الشعور بالكرامة حين يعوده قبول الشتائم، ويقتل فيه الخشية من الجزاء حين يعلم أن عاقبة الاهمال شىء من السباب ، وهو يعرضه مستقبلا لأن يعاود الإهمال والمخالفة فيقع يوما ما فى شر كبير .

والذى أراه أن الضابط صادق فى أنه لن ينزل بالجندى بعد هذا جزاء شديدا، ولكنى لا أستطيع أن أعلل هذا بالرحمة ، فمثل الذى سمعت منه ما ذكرت لا أتصور كيف يكون فى قلبه لون من ألوان الرحمة تجاه مثل ذلك الجندى .

والذى كنت أرغب أن ينبه هذا الضابط أخيرا إليه — ولعله يعلمه — هو أن بين جنود القوة ، التى هو ضابط فيها ، كثيرين من الحاصلين على شهادة " البكالوريا " التى سمحت بمنحه النجمة التى تزين كتفه ، وتزيد رداءه أبهة ... ، ولا يفرق بينه وبين هؤلاء إلا أنهم حين جاء دورهم فى الخدمة العسكرية ، كان هو موظفا ولم يكونوا هم من الموظفين ؛ فتقدم لهذه الخدمة فكان ضابطا ، وطلبوا هم — وعجزوا عن دفع جنيهات قيمة البدل العسكرى — فكانوا من الجنود !

كنت أرغب فى أن ينبه هذا الضابط إلى هـذا ، وكنت سأفعله ، لولا أن الدرس الذى كان يلقيه غيرى عليه لم ينته قبل أن نفترق كل إلى سبيله . فأشار علىّ صديق

أفعل ، عسى أن يكون فيها شيء من التوجيه الذى يجب أن يوجه إليه الناس أجمعين ، حتى يفهموا أن المسئولين اليوم عن تأخر عقليات جمهور الشعب ، الذى يسمونه "البهائم"... ؛ ليسوا هم "البهائم" ... ؛ وإنما المسئولون حقا هم المثقفون .

هم الذين يحتلون مراكز الرياسة والقيادة فى كل عمل صغير أو كبير . هم الذين أعطتهم الأيام نصيبا من السلطان — عظم هذا النصيب أو حقر — فلم يرضوا غيرهم إلى حيث هم ، ولكنهم هبطوا بأنفسهم ، وبمستقبل الأجيال ، إلى الحضيض ... بدعوى أن هذه وحدها طريق تعليم " البهائم "... ، ولغة التفاهم مع غيرهم من الذين حرمهم الدهر — أو الناس — نصيبهم الحلال ، من الجاه والعلم والسلطان ...

كم نحن فى حاجة إلى أن نزن أقدارنا بميزان صحيح ، وأن نحفظ بين الناس ما لنا من مقدار ... !

عماد الدين عبد الحميد

من أخلاق المسيح عليه السلام

يروى أن المسيح عليه السلام كان يجلس مع بعض الحواريين فمر بهم خنزير ، فأشار إليه بيده قائلا : " اذهب ياهذا " ! وظن بعض تلاميذه أنه يجهل اسمه فيكتفى بالاشارة إليه . فقال : "إن اسمه خنزير" فقال عيسى عليه السلام : "إننى أعرف اسمه ولكنى أكره النطق به خشية أن يعتاده لسانى ، فأخاطب به — فى حالة غضب — بعض بنى الانسان" !

من بركات الحرب !

توسيع منافذ الأحياء الوطنية فى القاهرة

يبدو أن الشر الخالص والخير المحض كلاهما لم يخلق بعد فى هذه الدنيا ، وهذه الحرب بويلاتها ومصائبها ، وعلى كثرة ما أصابت، وأصابت العالم بالكوارث الجسام ، ينبت من خلال الشر فيها بعض الخير لنا ، على غير إرادة منها وما !

والخير الذى أعنيه هنا هو ماطلبته وزارة الوفاية الماشئة ، وهو أن يدرج فى مشروع ميزانيتها الاعتماد اللازم لتوسيع الحارات والأزقة المؤدية إلى داخل الأحياء الوطنية فى القاهرة حتى يسهل على سيارات المطافئ والإسعاف والنجدة أن تصل إليها إذا ألقيت عليها قنابل محرقة .

فأية كارثة أخرى غير الحرب وويلاتها كانت حقيقة أن تثيرنا هذه الهزة العنيفة التى تشعر معها أن فى القاهرة أحياء وطنية وأن هذه الأحياء ذات مداخل ضيقة لا تتسع لمرور السيارات ؟ إن أحدا من أصحاب السيارات لم يحاول مرة أن يتعرف إلى هذه الأحياء ، ولو أن أحدا منهم ساقته الأقدار من قبل مرة إليها فلم تتسع لسيارته لارتفع صوت من الأصوات المسموعة فى هذا البلد ينادى بالويل والثبور ، ويصيح بضرورة توسيع هذه المنافذ ، لا ليستطيع سكانها التنفس ولكن لتتسع لمرور السيارات !

غير أن الأقدار لم تسق مرة واحدة من قبل أحد أصحاب السيارات إلى هذه الأحياء المجهولة فى قلب العاصمة ، حتى شاء الحظ السعيد أن تقع الغارة على المدينة ، وأن تحاول سيارات المطافئ والإسعاف أن تشق طريقها إلى هناك فتعجز عن بلوغ أهدافها ، فتلتفت حينئذ فقط إلى أن هناك أحياء وطنية منافذها ضيقة لا تتسع لمرور السيارات !

فبارك الله إذن فى هذه الحرب ، وبارك فى ويلاتها الطاغية ، وبارك فى هذا الخير العظيم الذى ينبت من الشر العظيم !

منذ أربع سنوات كتب الدكتور حافظ عفيفى باشا فصلا فى كتابه " على هامش السياسة " يحظر فيه الدولة والأمة بأن هناك شيئا فى القاهرة المجهولة اسمه الأحياء الوطنية ،

" قد يحيل لكثير من الموسرين أن مدنا كبيرة كالقاهرة أو الإسكندرية لا تحتاج لشمس ولا لهواء ؛ فهم يعيشون فى منازل فسيحة تحيط بها الحدائق الغناء ، ولا يمشون إلا فى شوارع واسعة جميلة ، فيظنون أن جميع بيوت القاهرة والاسكندرية كبيوتهم أو تقل عنها قليلا . كذلك قد يتوهمون أن شوارعها جميعا تحاكى ما يسيرون فيه بعرباتهم من الشوارع الواسعة ، وأخشى أن يكون أكثر حكامنا وأولى الأمر فينا من بين هؤلاء ! والحقيقة أن المنازل الصالحة لسكنى الآدميين فى القاهرة والاسكندرية هى جزء صغير من منازل هاتين المدينتين ؛ أما كثرة منازل المدن الصغيرة ، أو منازل القرى والعزب فهى غير صالحة لسكنى الحيوان فضلا عن الانسان .

" لقد اشتغلت بالطب عشرين سنة فى مدينة القاهرة ، ولا أظن أن هناك ركنا من أركان العاصمة المجهولة لم تطأه قدماى ولا يوجد شارع أو حارة أو زقاق فى مدينة القاهرة إلا دخلت بيتا فيه لمعالجة طفل مريض . ولذلك رأيت مالم يره غيرى فرأيت عجبا ! رأيت الأزقة التى لا تتسع لأكثر من شخص واحد يسير فيها ، والتى يمكن الساكنين على جانبيها أن يقفزوا من بيت إلى بيت بكل سهولة. دخلت بيوتا تنبعث منها الروائح الكريهة المهلكة ، وتعلو جدرانها الرطوبة صيفا وشتاء ، ولا شمس ولا هواء ولا نور ينفذ إليها . دخلت منازل جدرانها وسقوفها من صفائح البترول القديمة ، يسكن الحجرة الواحدة أسرة مكونة من الأب والأم والأولاد ، ويعيش معهم أحيانا بعض الحيوان أو الطيور المنزلية . ولست أبالغ فى هذا الوصف فليس من الصعب على كل من يريد التأكد من حقيقة الأمر أن يذهب الى عرب اليسار أو عشش الترجمان ليرى بعينه ما أصف الآن بل أستطيع أن أدله على حى من أحياء القاهرة لا يبعد الا بضعة أمتار عن شارع القصر العينى ، فانه يوجد فى هذا الحى منطقة يصعب أن ترى مثيلها فى بلاد الكنغو أو فى أقاصى السودان . يوجد " تل زينهم " بمناظره المدهشة ، وحاراته التى لا يزيد عرضها عن المتر ، ومنازله المتداعية للسقوط ، والمبنية بالطين والصفيح ونحو ذلك ..."

صدرت هذه الكلمات النارية الملتهبة من رجل معروف بالقصد والاتزان ، فهو لا يكتبها الا متأثرا بواقع مؤلم يثير الهادئين المتزنين ، ولم يكتف بوصف الداء بل اقترح العلاج أيضا فى فصول كاملة من كتابه القيم ، ولكن أحدا لم يلق باله الى المسألة حتى جاءت الحرب فهزتنا تلك الهزة العنيفة التى لا تهزنا اياها الفصول والمقالات .

فبارك الله اذن فى هذه الحرب — مرة أخرى — وبارك فى ويلاتها الطاغية . وبارك فى هذا الخير العظيم الذى ينبت من الشر العظيم .

ولكن مالنا نستبشر هكذا والأمر لايزال أمر مشروع لم نصل بعد فيه إلى قرار ، بل قد وصلنا إلى قرار ولكن المهم هو التنفيذ والتنفيذ السريع ، فقد طالما صدرت القرارات ثم بقيت حبرا على ورق فى كثير من الأحوال .

ففى أبريل من العام الماضى — ولم يكن ذلك فى أوله ! — نشرت الأهرام أن وزير الصحة حالته حالة هذه الأحياء الوطنية ورثى لسكانها التعساء ، فألف لجنة برياسة حضرة مفتش صحة العاصمة لبحث مشروع يرمى الى إنشاء متنزهات فى أحيائها على بعض الأراضى الفضاء والخرائب التابعة لوزارة الأوقاف ، وأن عدد الأماكن التى اختيرت فى مختلف الأنحاء بلغت ثلاثا وأربعين قطعة تبلغ مساحة أصغرها ثمانية آلاف متر . وأن نفقات المشروع قدرت بحوالى ستين ألف جنيه .

ومضى عام وجزء من عام فلم تنشأ حديقة واحدة من هذه الحدائق الثلاث والأربعين ، ولا بد أن العذر كان هو المال . المال الذى يوجد دائما حين تقتضيه صوالح الطبقات المثرية ، ويشح دائما حين تقتضيه مصالح الفقراء ! المال الذى يضطر صحيفة متزنة كجريدة المقطم أن تقول عن مشروع توسيع منافذ هذه الأحياء الأخير :

" هذا موضوع تكلمنا عنه وعن أهميته لما بلغنا فى وقت ما أن مجلس الوزراء رأى صرف النظر عنه لأن توسيع تلك الشوارع الضيقة والأزقة يكلف أكثر من مليون جنيه . فقلنا إننا أنفقنا حتى الآن اثنى عشر مليون جنيه على إنقاذ الثروة العقارية ، أفلا ننفق مليونا أو مليونين على ضمان سلامة السواد الأعظم من سكان العاصمة " .

والمقطم تحدث ولاشك هنا بلغة التوريط ، والا فهى لاتجهل أن الملايين الاثنى عشر التى تنفق للتسويات العقارية أخف وأهون من المليون أو المليونين الذين ينفقان على ضمان سلامة السواد الأعظم من سكان العاصمة ، ما دام هذا السواد الأعظم يعيش فى الأحياء "الوطنية" !

والآن وقد شاء الحظ السعيد ، أو شاءت ويلات الحرب ، أن نسترخص هذا المليون ينبغى ألا تصرفنا المطالب الحاضرة عن النظر البعيد ، فيجب ألا نقوم بأعمال مؤقتة بل نضع سياسة دائمة ، وأن نتحرز هذه الفرصة لوضع مشروعات كاملة لإصلاح هذه الأحياء فى مدينة القاهرة ، حتى لا يقع ما يشكو منه الدكتور حافظ عفيفى باشا وما هو مشاهد فى سلسلة الأعمال التى تقوم بها مصلحة التنظيم الان ، فهو يقول :

" والغريب فى أمر المصلحة المختصة بشؤون القاهرة وهى مصلحة التنظيم أنها تصرف سنويا المبالغ الطائلة على توسيع شوارع الأحياء القديمة ، وهى تسمح فى الوقت نفسه بتقسيم الأراضى الجديدة المعدة للبناء تقسيما ينتهى بإنشاء شوارع جديدة فى أحياء القاهرة الجديدة تقل فى عرضها عن الشوارع التى توسعها الآن فى الأحياء القديمة .

" إن أحياء الحلمية الجديدة . وجنينة البابلى وجنينة لاظ ، وهى أحياء تعتبر جديدة نسبيا لا تقل رداءة عن أقذر أحياء القاهرة القديمة . فاذا اعتبرت هذه الأحياء قديمة أيضا فانه يبنى الآن فى المنيل وفى شبرا وفى مصر القديمة وفى بولاق وفى العباسية منازل جديدة فى أحياء جديدة خططت شوارعها بحيث لايزيد عرضها عن ستة أمتار وتبنى عليها الآن بيوت لم يراع فيها أى شرط من الشروط الصحية التى تشترطها الآن كل حكومة على وجه البسيطة وسنضطر الى توسيعها فى المستقبل بإنفاق المبالغ الباهظة كما نفعل الآن فى الأحياء القديمة ، فى حين أننا كنا نستطيع بحرة قلم أن نوسعها بلا نفقة " .

أما أسس السياسة الدائمة التى ينبغى وضعها لعلاج هذه الحالة ، والإصلاح الدائم لهذه المقابر التى ندعوها تجوزا "أحياء وطنية" فليس هنا مجال تفصيله ، ولكنا نشير الى أنه مبسوط بتوسع وتفصيل ودقة فى كتاب الدكتور حافظ عفيفى باشا " على هامش السياسة " من صفحة ٢١ الى صفحة ٢٩ . وفى كتاب الأستاذ مريت بك بطرس غالى " سياسة الغد " من صفحة ١٠٠ الى صفحة ١١٠

* * *

ولعل المناسبة هنا حاضرة للحديث عن " المجلس البلدى للعاصمة " هذا النظام الذى لابد منه ، والذى لم يعد هناك ما يدعو لأجيله . فمن المعروف أن "مصلحة التنظيم" نظام لا مثيل له فى عاصمة واحدة من عواصم العالم وهذا "التنظيم" يتبع الاجراءات الديوانية و"الروتين" المعروف ، بينما المجالس البلدية تتبع نظاما آخر يجعل المدينة وحدة مستقلة ، تنظر فى شؤونها الخاصة ، وتملك من وسائل التنفيذ وسرعته ما لايملكه " التنظيم " التابع لوزارة الأشغال المنقلة بالمشروعات الضخمة فى طول البلاد وعرضها .

وقد كانت الامتيازات هى حجة من لا يريدون إنشاء المجلس البلدى للعاصمة ، حتى لا يوجدوا للأجانب نفوذا آخر فيه يعادل نفوذهم فى بلدية الاسكندرية . والآن وقد ألغيت الامتيازات زال هذا المانع ولم يعد هناك ما يبرر بقاء هذا النظام العتيق .

ولعل إنشاء بلدية للقاهرة ، مع تسليحها بقوانين جديدة تخول لها الإشراف التام على حركة البناء فى المستقبل ، ولا تقصر نفوذها على التوسيع والهدم . لعل هذا كفيل بتحديد العاصمة الكبيرة فى مدى معقول . وإلا فهذا الوضع الحالى غير صالح ولا مقبول .

وأخيرا نرجو أن يسرع المسئولون فى إنفاق المليون الذى أقره مجلس الوزراء أخيرا ، فالظروف لا تمهلنا ، والغارات تتجدد ولا يدرى أحد مكان الضربة التالية ، وسكان هذه الأحياء لا يقلون عن مليون ، فلنشتر حياة كل فرد منهم بجنيه واحد ، وما أرخصه سعرا حتى فى أسواق الرقيق !

في ربوع البائسين

الضريرات

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

عطف كريم :

طلعت علينا الصحف بما أثلج الصدور وأحيا الآمال ، إذ رأينا المليكة الساهرة على أمتها تسارع إلى ضاحية الزيتون تجوب دور العميان وتتنقل بين ربوعهم ثم تقصد أعزها الله الى دار الضريرات بحى السيدة فتغدق عليهن من برها وعطفها السامى مايشعر هؤلاء البائسات بابتسام الحياة فى وجوههن للمرة الأولى . فبهذه المناسبة الكريمة نكتب عن هذه الدار ونزيلاتها .

فى دار الضريرات :

نحن فى شارع الشيخ البقال — شارع صغير يمتد على مسيرة دقائق معدودات من مسجد السيدة زينب تسير فيه حتى إذا بلغت منتصفه استرعت بصرك لوحة تطل من ناصية بيت متواضع تحمل اسم "دار مساعدة الضريرات" .

دخلت الدار حتى إذا انتهيت إلى سلمها استوقفتني فتاة مبصرة ، سألتها عن الناظرة ، فابتسمت وأجابت فى تواضع وحياء انها هى ، وقادتنى الناظرة الصغيرة إلى مكتبها ، واستهلت ناظرة الدار ، الآنسة سارة محمد ، حديثها بالاعتذار عما أدى من بساطة المكان قائلة إن جماعة رعاية الضريرات ترعى الاقتصاد ما استطاعت ولا تعنى بالمظاهر ، قلت هذا خير مايرجى ، وما ضر مشروعاتنا الاصلاحية إلا الإغراق فى المظاهر ، وإنفاق المال فى غير ما أعد له — ثم قامت الناظرة تتنقل معى بين أرجاء الدار .

ومضينا إلى أماكن العمل فاذا بى بين عدد كبير من الفتيات ، كلهن ضريرات ، وقد انكببن على عملهن كل تعالج ما بيدها ، هذه تمد قاع سلة ، وتلك تقيم هيكلها ، وثالثة تكسو هذا الهيكل صفصافا . ووقفت فى جمع يقرب من الخمسين فتاة أشاهد وجوها ما كان أنضرها

لولا عيون ذهب القدر بإنسانها ، وأطبقت على العمى أجفانها . أتأمل تلك الأنامل الغضة التى تعمل وتنتج وتخرج صناعة مبشرة تبز عمل المبصرين — وسألت الآنسة سارة عن مدى نجاح البنات فى عملهن ، فقالت ان البنات يفدن ويستفدن ، فتلك السلة تكسب الفتاة خمسة وعشرين مليما ، وتستفيد الجماعة منها بخمسة مليمات تستعين بها على سد بعض النفقات .

وفى حجرة أخرى حضرنا درسا فى القرآن الكريم ، ولشد ما أثار اعجابى اتقان البنات للتجويد وحسن استعدادهن لادائه .

وانتقلت بنا الناظرة النشيطة إلى مساكن البنات ، فرأيت أسرة من الجريد ، كانت على بساطتها غاية فى النظافة ، وقد علقت المشاجب وميز كل مشجب منها بممر أو ممرين أو أكثر تستدل بها كل بنت على موضع مشجبها .

وإذ لاحظت وجود بعض الصور على جدران مساكن البنات ، عن لى أن أسأل "لمن تكون هذه الصور والبنات ضريرات" ؟ فأجابت الآنسة فى براعة وسرعة خاطر "للمبصرين — لى وللزائرين — أعددتها لذوى العيون لتذهب ببعض ما يخفه مشهد الضريرات فى نفوسهم من أسى وانقباض".

وانتهينا بعد ذلك إلى مخزن المصنوعات . ولست بذكر عنه شيئا سوى أن أسألك أيها القارئ الكريم أن تزور الدار لترى ما فيها ، ولست أشك فى أنك ستخرج منها محملا بالحقائب والسلال وغيرها من تلك المصنوعات النافعة التى تباع بأثمان ستغريك ولاريب على الشراء .

وعدت والناظرة الفاضلة إلى المكتب أتابع أسئلتى عن عمل الفتيات ، فقالت إنهن يقمن فوق عملهن السلال بحبك الخيوط واعداد بعض المفارش التى توردها الدار لمعهد التدبير المنزلى .

ولاحظت وجود بعض الآلات الموسيقية فى صوان بحجرة الناظرة ، فقلت ان هذه ؟ قالت للبنات يتعلمن دق الطبل والغناء و بينهن فى هذا مجيدات ، وأضافت الآنسة سارة إلى ذلك أن لديها فتاتين تتعلمان الكتابة على الآلة الكاتبة بمعهد خاص . . . ولم أشأ أن أدع هذه الفرصة تمر دون أن أتبين بعينى هذا الأمر الغريب الذى لا نظير له إلا فى بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، حيث أعدت بعد الحرب الماضية معاهد فى سان دنستانز وريجنت بارك وباريس ونابولى لتعليم عميان الحرب هذا الفن المبصر .

وقصدت إلى معهد الآلات الكاتبة بعمارة دوس حيث شهدت عجبا ! . . ضريرتان صغيرتان تشتغلان بكتابة ما يملى عليهما . تضربان على أزرار الحروف بمهارة دون أن يعلو تلك الأزرار نتوء أو بروز . وقد علمت كما روت الصحف أن جلالة الملكة المعظمة أبدت إعجابها بعمل هاتين الفتاتين وشملتهما بعطفها السامى .

العمى فى مصر . أسبابه وسبل كفاحه :

العمى — وقاك الله — شر ما يستعاذ منه . وقد قدر لأمتنا المسكينة أن تبتلى بهـذا الشر . ابتليناه اذ اجتمع لدينا رزء الفقر ومصيبة الجهل ،وقد ضاعف بلوانا أنا ألفنا التوانى فى الإصلاح ، والتراخى فى علاج أدوائنا .

أما الفقر : فلأن البلد الذى يحط فيه مستوى الكسب حتى ليهبط الى قرشين للفرد فى اليوم لا بد أن يحط معه المستوى الصحى — وأسرة الفلاح أو العامل التى تسعى جاهدة للحصول على القوت الضرورى من قفار الخبز أو تافه الإدام ، قل أن تجد هذه الأسرة من المال أو من الوقت متسعا لعناية بنظام مسكنها أو بنظافة أفرادها .

والفلاح ذو الجلباب الواحد — كما يصفه المسيو روزبلى صاحب المزرعة النموذجية بكفر الدوار — لا يتيسر له المحافظة على نظافة هذا الجلباب ، ومن العبث أن نقصر جهودنا على نشر الدعوة الصحية دون أن نقرن هذه الجهود بحلول حكيمة تخفف أثر الفقر فى البلاد .

حضرت مرة عرض شريط سينمائى مما يعرض على الفلاحين بالريف ، شريط عن صحة العين كان يتضمن الدعوة الى استعمال الصابون لنظافة العين ،والنوم على الفراش النظيف فرش يجب أن تستبدل ملاءته وأكياس وسائده كلما اتسخت بأخرى نظيفة ،وبأن يكون لكل فرد منشفة خاصة وبشكير و . . و . . الخ هذه الطلبات التى لا ولن يقوى عليهـا الفلاح .

نحن لا ننكر فضل الدعوة الصحية ولكن لكى تحقق هـذه الدعوة أغراضها يجب أن يعالج السبب الحقيقى لقذارة الشعب : الفقر الذى لا يدفع إلا بتوفير أسباب الكسب للناس . ولا سبيل الى هـذه الغاية الا بزيادة الأراضى المستصلحة ،ونشر الصناعة ،واستغلال موارد البلاد الطبيعية ورفع الأجور .

وأما الجهل : فلا يزل يغشى السواد الأعظم من الشعب ،وحسبنا أن نعرض لبعض العادات التى ما فتئت شائعة بين الكثيرين لنرى كيف يعنى بعض الآباء والأمهات بعيون بنيهم .

دعنا من تذكرة داود ،فتعاليمها راقية بعض الرقى اذا قيست بأساليب الطب الشائعة عند العامة . واذا كان فى الكحل وشثم العطار وعقاقيره مما يؤذى البصر ، فمن العامة من لا يزال يستعمل لعميقة الحمراء ،أوالخورة لإزالة التهاب العين ،أو يعمد الى الفلفل المسحوق لاستدرار الدمع وتقوية النظر ،بل إن بينهم من لا يزال يعمد الى ما هو أشنع من هـذا وأبشع : الى روث الحمير أو بول الطفل أو الكلبة السوداء أو ماء مسقة الكلاب ، يغسل بمثل هذه السموم عين طفله ليشفيها ، و إن شئت فقل ليعميها ...

ثم إن النظافة عند العامة مجابة للحسد ، وليس من الحكمة فى شرعة الجهل أن يظهر الطفل جميلا ، انما ينبغى أن يخفى هذا الجمال تحت قناع من الأقذار وأن تطمس العيون بالأوساخ ليعيش الطفل ويتقى شر العيون .

وأما تراخى المشرفين المسئولين وتوانيهم فى تنفيذ مناهج الإصلاح ، فحسبك فيه أن ترجع الى نواحى الإصلاح الحيوى وخاصة ما له مساس بصحة الأهلين ، عيونهم وأبدانهم لتلمس كثرة أقوالنا وقلة أعمالنا .

فلاحنا لا يزال يبيت مع دابته فى تلك المقابر الطينية .

وعاملنا لم يبرح يأوى إلى تلك الأكواخ فى الحوارى والدروب التى أظلمت بظلمتها العيون وضاقت بضيقها الصدور ، وبيوت الشعب لا زالت مظلمة كريهة الرائحة ، وحسبك أن تعلم أن ما وصل بالمجارى العامة من بيوت عاصمة البلاد ذاتها لا يتجاوز ستة وعشرين فى المائة .

ومشروعات حماية الصحة العامة كمشروع التحقق من سلامة الروجين من الأمراض الخبيثة كالزهرى والسيلان لا يزال كغيره رهن فحص وبحث وتنقيح وتعديل اللجان وغير اللجان .

على أن الوقاية ، وإن كان لها المكان الأول ، فإن للعلاج أثره وفعله فى تخفيف الداء إذا ما حل ، لذلك كانت رعاية العميان والعناية بهم من أولى الواجبات .

رعاية العميان واجبة :

إن رعاية الأعمى واجب تقضى به الانسانية وتحض عليه الشرائع السماوية كما يمرضه ناموس التكافل . واذا كان بين الفلاسفة كتيتشة من يحتج بسنة بقاء الأصلح ليصور للناس أن من خير المجتمع التخلص من ضعافه أو وجد هذا الرأى بين المذاهب الحديثة كالنازية من يدعو الى الأخذ به ، فليس ثمة من يدعو الى إهمال شأن الأعمى لأسباب ثلاثة :

الأول — أن العمى ليس وراثيا لذلك لا محل للخوف من ظهور جيل سقيم .

الثانى — أن الأعمى اذا أعين على تعلم الصناعة ، أمكنه الاعتماد على نفسه فى تحصيل قوته وقوت بنيه المبصرين .

الثالث — أن الأعمى ليس عاجزا ولا هو بالقوة المعطلة ، وإن نظرة واحدة نلقيها على ماحولنا ، ندرك بها فضل العميان ونتبين منها أن المجتمع مدين لرءوسهم بكثير مما بلغه من تراث أدبى ومادى .

نقول ان العالم مدين لتلك الجفون المقفلة بثقافة مبصرة هى من خيرما أخرج للمبصرين، فهذا شعر أبي العلاء نحفظه ونرويه وتلك فلسفته يدرسها الغربيون قبل الشرقيين .

وشعر بشار بن برد حى يتلى ويوجه ويفيد .

وكتب فاوست فى الاقتصاد وموسيقى جون ستانلى (John Stanely)، ومؤلفات مون (Moan) ، وباخ (Bach) ، وبريل (Braille) ، وهاندل ، وتشارلس لوثر ، غيرهم يقرؤها ويحفظها ذوو العيون .

إن كنت ممن لا يؤمنون بكفاءة الأعمى فاعلم أن " دلفينو " العالم الكبير أعمى ومبتور الساقين والذراع ، وأن هيلين كلر (Helene Keller) التى تخرج للناس حتى الساعة كتبا من خير ما وضع فى الفلسفة : عمياء ، لا ياصاحبى إنها عمياء صماء أصابها الصمم بعد حمى ذهبت بحاسة السمع وأبقت لها طلاقة اللسان — تعلمت كلر بأصابعها التى تتحسس بها الحروف والتى تضعها أحيانا على خد محدثها فتفهم بالضغط كل ما يقال. نالت كلر دكتوراه الفلسفة وهى من يوم أن أتمت التحصيل ما كفة على العمل تكتب وتخطب . ضاقت بها دنيا الأمريكتين على سعتها ، فراحت تجوب المدائن والأمصار ، تطوف العالم لتسمع ذوى الآذان فى كل مكان إعجاز من رموا بالعجز ، وتبهر الملأ بنور من حرموا النور وعاشوا فى دياجير الظلام ، وهى فى كدها وسعيها تختص العميان بكل ما تصل إليه يداها .

كيف يرعون عميانهم :

إنى لأشفق عليك ياصاحبى ، وقد طال بنا بحث العمى ، أن أوذى عينيك بالاحصاء والأرقام . خذها حقيقة فى غير مغالاة إنى قد وقفت على ما أقنعنى بأن كافة شعوب العالم المتمدين تنفق مالا وفيرا فى سبيل العميان ، وأن مصر الزعيمة زعيمة العمى ، هى أقل الشعوب اهتماما بمكافحة العمى ورعاية العميان ، فهناك تعمل الأمم حكومات وأفرادا على تيسير سبل العيش للأعمى وتخفيف بلواه :

ذلك بأن الالزام بالتعلم يسرى فى كل أوروبا (عدا مملكتين) على العميان ، سريانه على المبصرين . ومصانع العميان ومدارسهم وملاجئهم لا تكاد تخلو منها مدينة أوروبية أو أمريكية مهما قل عدد العميان فيها . وهم يرعون ضعاف البصر رعايتهم للعميان ، فلا يتركون ضعيف البصر كما نفعل نحن يدرس بنفس الطريقة وفى ذات الفصول التى يتعلم بها السليم ،

ففى بريطانيا وأمريكا وألمانيا أعدت لهؤلاء فصول خاصة لأن إلزام الطالب الضعيف البصر بقراءة سبورة السليم والمطالعة فى كتبه كثيرا ما تذهب بالبقية الباقية من نور عينيه وخاصة عند وجود العاهة البصرية المطردة الزيادة .

ورعاية الأعمى هناك من أولى واجبات الزائرة الصحية التى يجب أن توافى ادارات الاصلاح بحالة كل أعمى لسد ماينتقصه .

ومن الممالك من يقتصر بعض المهن على العميان وحدهم تيسيرا لعيشهم كاليابان التى حصرت مهنة التدليك فيهم ، وكأمريكا التى فرضت على المعامل اسناد بعض الأعمال للعميان ، وإنك لترى بمصانع فورد عميانا وعجزة كثيرين .

ومنها من تنتزع العميان من صدور المهملين من الآباء والأمهات لتعنى بهم الدولة ، وقد عنيت بريطانيا كثيرا بهذا وأعدت للصغار من العميان دور الحضانة وللكبار مايطلقون عليه (Sun shine home for the blind) .

وقد ابتكر فى بوستن بأمريكا نظام " العصا البيضاء " التى تعطى لكل أعمى ، فاذا أراد عبور شارع رفعها ايراه الشرطى فيسارع الى معونته حتى يتقى خطر العجلات والسيارات .

وأعجب من هذا مدارس الكلاب التى تدرب فيها الكلاب على قيادة العميان وإرشادهم فى سيرهم .

ثم رعاية العمال المشتغلين فى الأعمال الضارة بالبصر أو التى تشع نورا يبهر إذ يلزم أصحاب الأعمال بالتأمين على عيون عمالهم وبتوزيع نظارات خاصة للمشتغلين فى الضوء الشديد ، وقد عنى أحد المهندسين المصريين " الأستاذ محمود ابراهيم ، مدير ورش التليفونات " بالنظام الأخير إذ شاهدته بين عماله .

يا أصحاب النظر

هذا داء العمى يغشى بلادكم ويفتك بأبصار مواطنيكم ، وتلكم قضية العميان المؤثرة تقدمها اليكم لتساعدوا العميان ما استطعتم ، وتكافحوا ، يامن بيدكم الحل والعقد ، بلاء العمى ماقدرتم ، وإن لكم فى مليك البلاد ومليكتها أسوة تقتدى ، ومثلا فى البر والرحمة يحتذى .

محمد عبد الكريم

السباق الحاضر

سباق إلى الخراب الاجتماعى

السباق كرياضة رفيعة ، ودراسة لمعرفة الأصائل الممتازة من الخيل ، وتنافس على اقتناء الكريم منها ، ومران لراكبيها على فنون الكر والفر والرمى ، وتدافع إلى التدريب لنيل قصبه وجوائزه ، ومورد جذاب لإنشاء المؤسسات الخيرية . السباق بكماع لكل ما تقدم ، سنة حميدة ، وهواية بريئة ، وحلبة كريمة ، لا اعتراض لنا عليها ، وإنما السباق كمؤسسات أجنبية وموارد شخصية ، ومزالق لصغار الموظفين وأبناء الأغنياء ، وشباك لاصطياد قروش البوابين والخدم ، ومناسر لمؤامرات المدربين والفرسان على الجياد المعروفة وعلى حق أصحابها فى الجوائز ، ومباءة لاحتيال السماسرة على البسطاء والسذج — السباق كمباءة لهذا كله ، نظام فاسد يجب تعديله فى تشريع حازم ، أو القضاء عليه إن تعذر ذلك . وما هو بالأمر المتعذر إصلاحه متى صح العزم وصدقت النية فى إصلاح ناحية خطرة من نواحينا الاجتماعية .

ولعل الأمة العربية من أقدم شعوب الأرض وأحدقها فى اقتناء الجياد وإعدادها وتضميرها والمحافظة على عناصرها ، وضبط أنسابها ، ومعرفة ولائدها وسلائلها ، ومن أكثر الأمم تقديرا لها وفخرا بها ، وانتفاعا منها فى تخريج أمة كاملة الرجولة والبأس ، بالغت فى حب الفروسية والشغف بها ، حتى قال قائلهم : لقد ولدنا على ظهور الخيل .

وكان للفروسية فى عهد الرومان والإغريق مكانها الفسيح فى التاريخ توخيا لأهدافها السامية ، وتحقيقا لأغراضها النبيلة فى الحرب و لسلم .

ثم تطورت أسلحة الحرب ، وتغيرت أساليبها فى البر والبحر ، فبعد أن كان الجواد عمادها وسنادها ، أصبح بعضها وجارحة فيها ، اللهم إلا فى بعض البلاد التى ما تزال بعيدة عن متناول التطور الصناعى والحربى الحديث ، أو التى تستلزم طبيعتها الاحتفاظ بقطعان الجياد معدة مدربة .

فهؤلاء الذين تطورت أساليب الحرب عندهم — قد توافر ثراؤهم وتضخمت أطماعهم وتشعبت شهواتهم ، وأصبحت الجياد لديهم سبيل تسلية ، وأداة لهو ، ووسيلة ترف ، وأصبحت عند المتربصين للفرص والمهازين للأحداث ، مطية ثراء ، أو مورد رزق وآفاق أطماع ، أو مجال دجل واحتيال ، ومهواة دمار وخراب .

لقد بدأ السباق فى مصر على حالة لها صبغة نظام منذ نصف قرن تقريبا ، وكان بديهيا أن تنقل مصر صور السباق عن أوربا من نهايتها وذروتها ، لامن بدايتها وأطرافها ، فتأخذ عنه الوجوه الكريمة ، دون النواحى المضادة ، ولكنه بدأ فى مصر بكل أوزاره ، وسار يحمل إليها فى ثناياه معاول التدمير والخراب الاجتماعى بين الطبقات الفقيرة والمتوسطة .

اللهم إلا إذا استثنينا بضعة مواقف مشهودة وأشواط مباركة ، قامت فى بعض نواحى البر لإتمام مستشفى المواساة المعروف بالاسكندرية ، وجمعية الهلال والصليب الأحمر والترفيه عن الجنود المتحالفة ، وهى أحداث لاتكاد تذكر فى عددها ، إلى جوار غيرها من الحلبات التى قامت فى سبيل الغواية والأنانية ، أو الثراء الشخصى والانتفاع الأجنبى ، فضلا عن مزالق الخراب التى انحدرت فى هوتها أقدام آلاف الفقراء وصغار الموظفين المقامرين بمالهم ومستقبلهم ، وعشرات الضحايا التى لم تحتمل وطأة الثراء المفاجئ ، أو الفقر المفاجئ فشرفوا مستشفى الأمراض العقلية ، أو جاوروا أضياف المقابر ، وخلفوا وراءهم أسرهم تندبهم فى لوعة الأسى ، وجمرة الفراق ، وقد يكونون عائلين لأسرهم ، فيخرب البيت مهما دخل إليه من مال ، ويتم الأطفال ، ويرمل النساء ، وتتفكك عرى الرابطة الاجتماعية بينهم ، بفضل هذه المغامرات التى تقوم فى مصر تحت إشراف الدولة وهى متغاضية عن كل ما تحمل من أثقال وأوزار ومصائب .

إن عدم الانتفاع بفضائل السباق دون مفاسده — على الرغم من حداثته فى مصر — يرجع إلى عدة أسباب :

السبب الأول — أنها بدأت هواية وتسلية ثم آلت إلى حرفة وصناعة أجنبية ، لايهم القائمين بأمرها إلا الربح الشخصى والثراء الذاتى مهما جر فى طريقه من أنواع التدمير المادى والأدبى ، فأصحاب النوادى وموطفوهم ومنتجو الخيول ومروضوها وفرسانها من الأجانب ، اللهم إلا النزر اليسير من أصحاب الخيول المصريين .

ولهؤلاء المروضين والفرسان من أساليبهم الشيطانية ، مايزعزع مستوى الثقة فى النفوس ، ويذهب بمستوى كفاية الجياد ويطيح بأموال اللاعبين ، ويخل بالتوازن العام فى كل شىء .

فالجواد الخامل أو المتوسط يصبح بين عشية وضحاها من أصحاب الجوائز الكبرى بفضل بعض المهيجات ، أو بركة الأعنة والسياط فى يد الفرسان ، تعوق ماتشاء ، وتسرع بما تشاء ، حسب قيمة الاتفاق بينهم وبين أصحاب الخيل والمروضين ، ثم إذا بالجواد المحجل والفارس المحجل ، حاسر الرأس متظاهرا بالأسى والحزن . كالثعلب المتلوت أمام فريسته ، حتى إذا اقتنصها ولى مدبرا ولم يعقب .

وقد يعرف هذا للحكمين ، فلا يكون الجزاء أكثر من إلغاء الشوط وعدم الاعتراف بنتائجه ، أو وقف البعض عن العمل أياما إذا أخذت العدالة مجراها عندهم ، ثم يعود بعد ذلك كل إلى عمله مرفوع الرأس ملىء الجيوب مما تناول من رشا ، وقد لا يعرف ذلك أحد فيمر كل شيء بشيء من الامتعاض والعجب و ينتهى كل شيء على ما يروم المتآمرون لأنذال مستمرئين كل هذه الحقوق مستسيغين عرق البواب والعامل والموظف الصغير ، حسر من خسر، وجن من جن، وانتحر من انتحر .

ولو أن هناك قانونا حازما يكون فى انتظار المتآمرين بجزائه الرادع، لما عبثوا بآمال الناس وأموالهم ، ولما حدث مثل هذا العمل الفاضح .

فإذا كان ولا بد من السباق كأداة للخير العام ، وكمدرسة لخلق جيل كامل الرجولة قوى الباس ، فيجب ضبط إدارته والعمل على صيانته من كل عبث وغش وتلاعب ، وتقبيح جبهة احتكار الفروسية الأجنبية بالعناصر المصرية ،وذلك بالإشراف الفعلى على نوادى السباق وتمصيرها لغة واصطلاحا ومظهرا و إدارة،وسن قانون حازم ينال المجرمين بعقابه ، كلما سقطت نفوسهم على أقذار الرشوة ، وتخصيص جائزة الحكومة للشبان المصريين الذين يبذون سواهم فى ركوب الجياد ، وللمنتجين المصريين لأجود أنواعها وأكرمها .

لقد كنا ننتظر أن تعدل الحكومة أسلوب الجائزة وطريقة إهدائها ، على أساس تشجيع الإنتاج و بطولة الراكبين من الناحية المصرية البحتة ، ولعلها صانعة ذلك قريبا ، مع العمل على زيادة حصتها فى الأرباح المقررة لتزيد سهمها فى أعمال البر، وما أكثرها فى مصر ، ولتصبح الرغبة فى شراء بطاقات السباق للأعمال الخيرية أولية ، والرغبة فى الربح البحت ثانوية ، و يزدهر إلى جوار ذلك ، فى عالم الرياضة ، جيش من الفرسان الهواة والمحترفين المصريين .

السبب الثانى — جعل ثمن التذكرة فى متناول الطبقات الفقيرة ، فأصبح لا يصعب على البوابين ولا يعز على الطهاة والعمال وصغار الموظفين ، أن يساهموا أو يتعاونوا على شراء التذاكر، فعشرون قرشا مبلغ من السهل أن يدفعه شخص أو شخصان ، أمام ما يسمع ويرى من مغريات الثراء المفاجئ والغنى السريع ،ومن هنا كان معظم الخطر الاجتماعى ،سيما وقد سهلت وسائل الحصول على هذه التذاكر بواسطة المكاتب السرية فى كل شارع ومقهى ومع باعة الصحف والدخان والشكولاته ومحال البدالة ، وعلى أيدى السماسرة والمروجين لهذه السوق الملعونة .

فاذا أضفنا إلى ذلك أناسا جعلوا من أنفسهم نوادى للسباق ، وراحوا يدعون الحذق والمهارة فى معرفة أجود الخيول الرابحة و يعدون الشراة و يمنونهم بالربح الوفير، فيجمعون النقود من هذا ومن ذاك كل على قدر طاقته ، فيكون من هؤلاء من يذهب بما معه من نقود دون رجعة ، ومنهم من ينتظر النتائج ، حتى اذا ظهرت وزع على من شاء وحرم من شاء دون رقيب أو حسيب . وبهذا يرتكب هؤلاء الناس عدة جرائم فى وقت واحد ، فيحرم الحكومة والنوادى حقها من الربح ، و يحتال على أموال الناس بأخذها بغير حساب أو عقاب ، والذى لا شك فيه أن الحكومة تعلم الشىء الكثير من أنباء هؤلاء ، وأنها تبحث عن مصادرها لتجتث أصولها ، ولكن هيهات أن تصل الى نتيجة أو تقف لأكثرهم على أثر ، فالوقاية إذن فى مثل هذه الحالات خير من العلاج .

و إن نظرة سريعة إلى هذه الجيوش الجرارة من أبناء النوبة ، وهم وقوف أمام توكيلات النوادى يتلمسون أخبار السباق فى يوم الأحد طمعا فى الكسب — لتبعث قشعريرة شديدة من الجزع على هذه الأموال المرهونة بإرادة المرنين والفرسان ، والمعلقة فى خيط من الأمل البراق لا يلبث أن ينقطع . وفى سبب واه من أسباب الطموح الكاذب لا يلبث أن يتفكك وتهرب هذه الأموال الى جيوب غريبة عنا مع حاجة الأسر الشديدة اليها فى أخص ضروريات الحياة .

ولعلنا لم ننس بعد حادث موظف وزارة الأوقاف وقد خسر فى السباق ما خسره، فأراد أن يعوض ما فقده، فاختلس من أموال الوزارة ما اختلس، ولعله لم يكفه ذلك ، فراح يراهن لرؤسائه ويدفع لهم كسبا موهوما مما معه ، تمكينا لصداقته بهم ، وطمعا فى التستر عليه ، ولكنه خسر فعلا ثم خسر ، وظل يغذى أمله فى الربح بالاختلاس حتى كشف أمره ، وقيد الى السجن يستوفى جزاء جريرته .

حادثة مما عرف ، أما ما لم يعرف فلا شك أنه كثير .

فتلافيا لهذه المصائب أو بعضها ، يجب الارتفاع بثمن التذكرة الى حد يتعسر معه على الطبقات الدنيا شراؤها ، أو التعاون فى شرائها ، كما ارتفع أجر الدخول من ٢٥ قرشا الى خمسين قرشا للشخص الواحد ، وكما منعت الحكومة صغار الأسنان من ارتياد ميادين السباق صيانة لأخلاقهم وأموالهم ، وهو صنيع من الحكومة جليل .

على أن المراهنة على الجياد سلاح ذو حدين ، وذلك لأن المراهن يتعرض دائما لهزات عصبية عنيفة فى حالتى الربح والخسران . والوقائع تؤيد هذا تأييدا ملموسا ، فقد أصيب الكثيرون بنوبات شديدة من وقع الفرح أدت بهم الى الهوس والجنون ، كما أصيب كثيرون أيضا بالشلل ومرض السكر من فرط الحزن والكمد .

وكم أحسنت الحكومة صنعا فى سنة ١٩٣٧ حين ألغت مكاتب السباق الفرعيـة ، وفكرت فى إلغاء نظامه الحاضر ، لولا ظروف خارجية وعوامل ملحة، عملت على إعادة فتح هذه المكاتب ولما تزل كذلك .

وإن كان ولا بد من أن نظل متشبثين بمظاهر المدنية الغربية فى هذا الباب ، فلا بد أن تمصر نوادى السباق ، وأن تشرف الحكومة عليـه إشرافا عمليا مسلحا بقانون حازم ، حفظا لأموال النـاس من تلاعب المرنين والفرسان ، وأن يكون الغرض الأول والقصد الأسمى منه أن يكون موردا دائمـا ومعينا فياضا لإنشاء المؤسسات الاجتماعية والخيرية ، والإبقاء والإنفاق عليهـا على مر الأزمان كما هو الحال فى انجلترا وألمـانيا وغيرهما ، وإقامة السدود المنيعة فى وجه المرادين الفقراء وصغار الموظفين ، لمنعهم من الاشتراك فى المقامرة على الخيل .

وإذا كنا فى صدد الإصلاح الاجتماعى فى هذه الناحية فجدير به أن يتناول نظام أوراق النصيب التى تجاوزت الغرض الخيرى منها ، إلى الاتجار والربح البحت ، فضلا عن الطرق الملتوية المـاكرة التى يستفيد عن طريقها مصدرو هذا الورق . فإن أوراق النصيب فى أغلب حالاتها لا تضر كثيرا فى حالة الخسار ، ولكنها على أى حال لم تكن فى وضعيتها وطبيعتها موردا تجاريا خالصا ، بل هى بمثابة الجدول البار الوفى يمد بمياهه ويغذى بآلائه مختلف المشاريع الإنسانية ، كما نرجو أن تتناول يد الإصلاح نظام (التيرو) ليصبح مدرسة لتعليم الرماية وتقدير المتفوقين فيها وتشجيع غيرهم عليهـا ؛ أما هى ، بنظامها الحاضر ، فبالوعة للأموال ، وحقل للأحقاد والعداوات ، ومكسلة عن الجد والعمل اعتمادا على أمل موهوم أو ربح متخيل .

ع. ا. ا.

مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة

تقرير عن أعمالها خلال العام الدراسى ١٩٤٠ — ١٩٤١

أصدرت مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة تقريرا عن أعمالها ونشاطها خلال العام الدراسى المنصرم . وهذه المدرسة هى أول مشروع قامت بتنفيذه الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية فى عام ١٩٣٧ بغرض إعداد طائفة من الإخصائيات والإخصائيين الاجتماعيين الذين ظهرت حاجة البلاد الشديدة اليهم على أن يزودوا بالدراسة العلمية والتدريب العملى الذى يؤهلهم للاضطلاع بالأعباء التى تسند اليهم ، كما ترمى الى معاونة القائمين بالعمل فى المؤسسات الخيرية أو الخدمات الاجتماعية فى تفهم أحدث النظريات والطرق العملية فى ميدان الخدمة الاجتماعية والى إثارة اهتمام الرأى العام بأعمال الخدمة الاجتماعية ووسائل تحقيقها .

وقد قسم التقرير نشاط المدرسة فى العام السابق الإشارة اليه الى أربعة أقسام : قسم الدراسات المسائية — قسم المتطوعات — قسم الإخصائيين الاجتماعيين — الخدمات الخارجية . وفيما يلى خلاصة لنشاط هذه الأقسام :

أولا — قسم الدراسات المسائية :

يشتمل على برنامج دراسى لمدة ثلاث سنوات . ويقضى الطالب السنتين الأولى والثانية فى دراسات علمية ومحاضرات ، ويقضى السنة الثالثة فى تدريب عملى وإعداد رسالة تتناول مشكلة من المشكلات الاجتماعية المصرية .

وفى العام الدراسى ١٩٤٠ — ١٩٤١ كان عدد الطلاب ٧٩ ، وعدد الطالبات ٢٩ منهم ٥٠ طالبا بالسنة الأولى و ٣٨ طالبا بالسنة الثانية و ٢٠ طالبا بالسنة الثالثة .

ومن هؤلاء الطلاب ٣٣ من خريجى المعاهد العليا و ٥٤ من الحاصلين على شهادة البكالوريا (القسم الخاص) وكان بين طلاب المدرسة عشرون يشتغلون بالتدريس فى وزارة المعارف العمومية .

وقد ألقيت المحاضرات فى اثنتى عشرة مادة — وقام بإلقاء المحاضرات إخصائيون فى الموضوعات الآتية :

علم النفس العام — علم الصحة الشخصية والإسعاف الأولى ومبادئ التشريح — علم الصحة العامة — علم الصحة العقلية — الاجتماع والاقتصاد — المسائل الريفية — طرق الخدمة الاجتماعية — نظم الهيئات المشتغلة بالخدمة الاجتماعية فى مصر — أعمال الأندية والقيادة فى الملاعب — مشاكل العمال والتشريع الاجتماعى — الأطفال المشردون والمهملون وذوو العاهات — علم الإحصاء الاجتماعى والإدارة والتنظيم فى الخدمة الاجتماعية .

وقام بإلقاء المحاضرات نحو سبعين من الأساتذة الإخصائيين أكثرهم من رجال الجامعة والمعاهد العالية ومن المشتغلين بالأعمال الاجتماعية .

وإلى جانب هذا البرنامج الدراسى قام الطلاب بدراسة عملية تشمل زيارات منظمة للمعاهد الخيرية والمصانع والتمرن على الخدمة الاجتماعية فى بعض المؤسسات، ثم تقديم رسالة تتضمن نتائج بحث اجتماعى قام بها الطالب كبحث الحالة الاجتماعية للأسر المصابة بمرض السل، أو نظام العمل فى بعض المصانع، وأبحاث اجتماعية عن بيئات القاهرة المختلفة، ونظم المؤسسات والمعاهد وأعمال الأندية ومشاكل العمال والمسائل الريفية وما شاكل ذلك .

وقد تم التدريب العملى للطلاب بفصل مساعدة وتعضيد هيئات خيرية كثيرة مثل مؤسسة الزقاف الملكى ومبرة أبناء السبيل، ونادى كوبرى الليمون، والرواد، ومكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث بالقاهرة، والجمعية النسائية لتحسين الصحة، ومركز رعاية الطفل ببولاق وغير ذلك .

وقد عقد امتحان دبلوم الخدمة الاجتماعية للمرة الثانية باشراف وزارة المعارف العمومية بواسطة لجان خاصة تمثل الوزارة والمدرسة وتكونت كل لجنة من ممتحنين يمثلون الوزارة ومن عدد مساولهم من الممتحنين الذين يمثلون المدرسة، وقد اعتمد معالى وزير المعارف العمومية نتيجة هذا الامتحان وتقدم له عشرون طالبا .

وانه مما يبعث على الارتياح أن تقبل الهيئات الاجتماعية الحكومية والأهلية على الاستفادة بخبرة خريجى المدرسة وطلابها فهناك ٤٤ يشغلون وظائف مختلفة فى هذا الميدان ومن هؤلاء خمسة عشر يشتغلون كاخصائيين اجتماعيين فى الادارات المختلفة بوزارة الشؤون الاجتماعية وأحد عشر يعملون سواعد فى الأندية الخاصة بالأطفال المحرومين وسبعة يشتغلون كاخصائيين لدراسة وعلاج الحالات الفردية، والباقون يشغلون وظائف مختلفة فى الخدمة الاجتماعية فى الريف أو فى المدن . وفيما يلى بيان بالهيئات الاجتماعية التى يعمل فيها هؤلاء :

مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة — مكتب الخدمة [illegible] بنية لمحكمة الأحداث بالقاهرة — تجارب إصلاح القرية — محلة بنات الطيبي — الجمعية النسائية لتحسين الصحة — جمعية مساعدة المصريات — لجنة سيدات الهلال الأحمر — جمعية الخدمة الاجتماعية بمصر الجديدة — مطعم رباط النموذجي — مبرة التعاون الاجتماعي — ملجأ الأيتام القبطي الخيري — ملجأ الحرية — المكتب الدولي لحماية المرأة والطفل — مصنع البيضا بكفر الدوار — محلة الرواد بالقللي — نادي كوبري الليمون — الجمعية القبطية للخيرية الكبرى — مؤسسة الزفاف الملكي بالعباسية .

وقد أشارت المدرسة في تقريرها إلى أنه برغم اطراد الزيادة في عدد [illegible] في مستوى التعليم فإن الحاجة إلى الإخصائيين الاجتماعيين تزداد بسرعة كبيرة بسبب تنبه المجتمع إلى ضرورة المبادرة بمعالجة مشاكلنا الاجتماعية .

ثانيا — قسم المتطوعات :

في شهر أكتوبر الماضي أتم هذا القسم عامه الثاني، وقد نظم لمدة [illegible] الدروس للسيدات المصريات اللاتي لا يردن أن يتخذن الخدمة الاجتماعية مهنة ولكنهن يرغبن ويستطعن [illegible] لتأدية خدمات في بعض المنشآت الخيرية أو في اللجان التي تعنى بالشؤون الاجتماعية . وقد نظمت لهؤلاء دراسات في الصباح مدتها عام واحد وتشمل على نحو ٨٠ محاضرة و٢٠ زيارة و٦٠ ساعة على الأقل تقضى في الخدمة الاجتماعية العملية تحت إشراف دقيق . وقد التحق بالقسم المشار إليه ٣٣ متطوعة ودخل القسم في أول أكتوبر الماضي ٢٠ متطوعة وقد ظهرت آثار خدمات المتطوعات اللاتي تخرجن في هذا القسم فيما قمن به من أعمال في تنظيم المشروعات الخيرية وإدارتها وجمع التبرعات لها .

وفي حي الطيبي بالسيدة زينب قام قسم المتطوعات منذ عام ١٩٣٩ بمعاونة الرواد بإنشاء محلة لخدمة بنات الحي تنحصر أغراضها في رفع المستوى الاجتماعي والصحي والثقافي لبنات الحي عن طريق برنامج شامل لنواحي نشاط أوقات الفراغ والتربية الصحية وحل المشكلات الاجتماعية لعضوات المحلة عن طريق بحث الحالات الفردية والاتصال بالعائلات . وفي هذه المحلة تجتمع بنات الأسر الفقيرة في الصباح ويتلقين برنامجا يشمل الصحة والرياضة البدنية وأشغال الإبرة والخياطة والتطريز والأشغال والرسم والأغاني . وقد أصبح من الممكن أن يقدم للبنات مقدار من اللبن وبعض أصناف أخرى من الطعام وذلك بفضل كرم وزارة الأوقاف ولجنة سيدات الهلال الأحمر . وإنه لمما يبعث على السرور أن تقوم نخبة من خيرة السيدات المصريات اللاتي تطوعن برعاية هذا المشروع والاشراف عليه .

ثالثا — قسم الأخصائيين الاجتماعيين :

تولت المدرسة إدارة هذا القسم لكى تجعل منه حلقة اتصال بين خريجى المدرس[illegible] بينهم وبين المشتغلين بالخدمة الاجتماعية عامة . ولكى تضمن لهذا النشاط الدو[illegible] الاستمرار تضم اللجنة التى تديره عضوا من كل من الفوج الأول والفوج الثانى من خريج[illegible] المدرسة ، وتقوم هذه اللجنة بتنظيم اجتماعيات شهرية تلقى فيها محاضرات وأبحاث منو[illegible] ويرحب القسم بانضمام جميع خريجى المدرسة وأعضاء الجمعية المصرية للدراسات الاجتماع[illegible] العام فى أعماله . وقد عقد القسم فى العام الماضى سبعة اجتماعات وكان متوسط عد[illegible] [illegible] فيها نحو خمسين عضوا .

رابعا — الخدمات الخارجية :

[illegible] نشاط المدرسة من مجرد إعداد الإخصائيين الاجتماعيين إلى تقديم المساعدات [illegible] بوجه عام، فقد قصد إليها كثير من الأفراد يلتمسون النصح والإرشاد وأجبو[illegible] [illegible] نحو ٢٠٠ طلب يلتمس أصحابها أن يلحقوا ببعض المؤسسات الخيرية [illegible] يمنحوا مساعدة مادية فقام طلاب المدرسة بدراسة كل حالة هذا عدا ما قدمته المدرسة [illegible] خدمات أخرى كإلقاء محو أربعين محاضرة هيئات خارجية و موضوعات اجتماعية [illegible] اشترك فى لجان الجمعيات تتولى مشروعات اجتماعية مختلفة .

وعلى هذا النحو أخذت الصلة تزداد بين المدرسة وبين الجمهور . وأخذت روح الخدمة [illegible] الاجتماعية تسلك سبيلها بين طوائف عديدة من المجتمع المصرى .

تم طبع هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦١
(٣٠ من يونيه سنة ١٩٤٢) م

مدير المطبعة الأميرية

محمد بكرى